برنامج البلاغة العربية

السداسي الأول: وحدة التعليم الأساسية	المعامل: 02	الرصيد: 04
01	علم البلاغة (مفهومه، ونشأته، وتطوره، وفروعه) آراء أهل المشرق والمغرب	
02	أثر الفرق الكلامية في تأصيل البلاغة (المجاز عند المعتزلة نموذجا)	
03	الأسلوب الخبري وأضربه	
04	الأسلوب الإنشائي وأضربه	
05	التقديم والتأخير...الفصل والوصل	
06	الحقيقة والمجاز ...أنواع المجاز	
07	التشبيه وأضربه	
08	الاستعارة...الكناية	
09	المطابقة ...المقابلة	
10	الجناس	
11	السجع	
12	البلاغة والأسلوبية	
13	البلاغة والشعرية	
14	بلاغة الخطاب النثري	

نشأة البلاغة:

بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة والبيان، وقد أشاد القرآن الكريم بذلك في مواضع كثيرة، كقوله تعالى: ﴿**وإن يقولوا تسمع لقولهم**﴾ و﴿**ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون**﴾، لذلك فقد تحداهم القرآن إلى معارضته كله أو جزء منه، وهذا دليل على تمكنهم من الفصاحة والقدرة على المجادلة بالحجة، يروى أن الوليد بن المغيرة استمع إلى رسول الله ﷺ وهو يتلو بعض آي القرآن، فقال: «والله لقد سمعت من محمد كلاما، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطُلاوة، وإن أعلاه لمُثمر، وإن أسفله لمُغْدِق».

ظهرت علوم البلاغة التي رفعت راية الدفاع عن إعجاز القرآن من حيث حسن التأليف، وبراعة الأسلوب، وبديع الإيجاز.

إن أهم ما شغل علماء البلاغة هو البحث في سر إعجاز القرآن الكريم، الذي قد يرجع إلى:

- أمور غيبية لا يمكن لبشر إدراكها.
- الصرفة وهي: صرف الله العرب عن معارضته مع يسرها عليهم تمكينا لنبيه وتصديقا له.
- مخالفة أسلوبه لأسلوب الشعر والنثر.
- جودة النظم وقوة التأليف، وسمو بلاغته إلى الحد الذي لم يستطع عنده أحد من البشر أن يحاكيه.

والرأي الأخير هو أكثر الآراء قبولا عند العلماء.

التأليف في البلاغة:

1. أبو عبيدة المتوفى سنة 206هـ فوضع كتابه "مجاز القرآن" على إثر سؤال وجه إليه في مجلس الفضل بن الربيع وزير المأمون عن معنى قوله تعالى: ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾ وكيف يشبه الطلع برؤوس الشياطين وهي لم تعرف بعد؟ إذ ينبغي أن يكون التشبيه بشيء قد عرف حتى يتبين الشبه ويتضح. فأجاب أبو عبيدة: إنما كلمهم الله على قدر كلامهم، وهو على حد قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال؟**

يريد أن المشبه به هنا غير معروف كذلك، وأن الغرض من التشبيه في الآية والبيت عرض المشبه وإبرازه في صورة فظيعة مخيفة، والعرب تشبه قبيح الصورة بالشيطان أو الغول، فاستحسن الفضل ذلك، واستحسنه السائل، ثم قام أبو عبيدة[1] من فوره، وتقصى ما ورد في القرآن من الألفاظ التي أريد بها غير معناها الأول في اللغة، وجمعها في هذا الكتاب، وأسماه "مجاز القرآن"، وهو –على ما قيل– أول كتاب دون في علم البيان.

مراحل التأليف في البلاغة:

1. كان القرن الثاني الهجري أول عصر شهد نشأة آراء كثيرة أصيلة ومترجمة حول البلاغة وعناصرها، بعد فساد الملكات، وقد أخذ العلماء في بحث أصول بلاغات العرب، وفي تدوين آرائهم في معنى كلمة البلاغة والفصاحة. وأهم ما يؤثر من ذلك: وصية بشر بن المعتمر –من زعماء المعتزلة، توفي نحو عام 210هـ– في البلاغة، وتفسير ابن المقفع للبلاغة، وتعريف العتابي لها، ووصية أبي تمام للبحتري تدخل في هذا الباب، ويقول البحتري: «خير الكلام ما قل ودل ولم يمل»، وفي البيان للجاحظ تحديد البلاغة كما يراها حكيم الهند، ويقسمها الكندي فيلسوف العرب (ت 260هـ) إلى ثلاثة أنواع: فنوع لا تعرفه العامة ولا تتكلم به، ونوع بالعكس، ونوع تعرفه ولا تتكلم به وهو أحمدها، إلى آخر هذه الكلمات والآراء.
2. ثم ألفت بعد ذلك كتب تجمع كثيرًا من الآراء والدراسات الموجزة حول البلاغة وبحوثها، ومن هذه الكتب:
3. مجاز القرآن لأبي عبيدة (ت 207 هـ)
4. والفصاحة للدينوري (ت 280 هـ)
5. وصناعة الكلام ونظم القرآن للجاحظ (ت 255 هـ).
6. كتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (ت 170 هـ).

1 أبو عبيدة هو معمر بن المثنى البصري أحد رواة اللغة الأعلام، وتلميذ يونس بن حبيب شيخ سيبويه إمام النحاة، وأستاذ الخليفة العباسي هارون الرشيد.

7. وقد بدأ التدوين في البلاغة على يد ابن المعتز[1] (ت 296 هـ) في كتابه القيم "البديع" وثعلب[2] (ت 291 هـ) في كتابه "قواعد الشعر"، ثم كتاب الصناعتين[3] لأبي هلال العسكري (ت 395 هـ)، ثم كتاب الموازنة للآمدي[4] (ت 370 هـ)، والوساطة[5] للجرجاني (ت 392 هـ)، وإعجاز القرآن للباقلاني[6] (ت 403 هـ)، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (ت 466 هـ)، والعمدة لابن رشيق[7] (ت 463 هـ) وهما أكثر الكتب اتصالًا بالبلاغة.

أ. أبو بكر عبد القاهر الجرجاني (ت471 هـ):

ب. **أسرار البلاغة**، وفيه دراسات واسعة تتناول بحوث علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة وفيه شرح للسرقات وبعض ألوان البديع.

ت. **دلائل الإعجاز**، وفيه بحوث كثيرة في أصول علم المعاني، كما أنه تحدث فيه عن الكناية وعن التمثيل والمجاز والاستعارة والسرقات أيضًا.

8. وبعد الجرجاني بحث الزمخشري (ت 538 هـ) في تفسيره، والرازي في كتابه "نهاية الإعجاز"، وابن الأثير صاحب المثل السائر، وبدر الدين بن مالك صاحب المصباح، والتنوخي صاحب "الأقصى القريب"، وكثير من العلماء، في البلاغة والفصاحة.

ومن أهم هؤلاء العلماء في هذا الطور أبو يعقوب السكاكي (ت 626 هـ)، الذي ألف كتابه "المفتاح"، وجعله أقسامًا، وخص البلاغة بالقسم الثالث منه، وقسمها إلى ثلاثة أقسام: المعاني، البيان، البديع. وبذلك تميزت علوم البلاغة ومباحث كل علم منها بالتفصيل.

---

1 البديع في البديع: أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (المتوفى: 296هـ)

2 أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب (المتوفى: 291هـ)

3 الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)

4 الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت 370 هـ)

5 الوساطة بين المتنبي وخصومه: أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: 392هـ)

6 أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: 403هـ)

7 العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: 463 هـ)

وجاء الخطيب القزويني (ت 739 هـ) فألف في البلاغة كتابيه: تلخيص المفتاح والإيضاح.

أسس البلاغة:

تعرف البلاغة بأنها مجموعة الأسس والمعايير الجمالية التي يقوم عليها العمل الأدبي وتهدف إلى تقويمه، حتى يصل إلى غايته المرجوة، ويحقق الأسس التالية:

أ. إيصال الفكرة أو المعنى.

ب. التأثير والإقناع.

ت. بث الجماليات في النص الأدبي[1].

علوم البلاغة: تتضمن البلاغة ثلاثة علوم:

أ. **علم البيان**: يدرس الصورة الشعرية أو الفنية[2]، وأبرز أبوابه:

- التشبيه وأنواعه وأغراضه وقيمته الجمالية.
- الحقيقة والمجاز وأنواعهما.
- الاستعارة وأنواعها.
- الكناية وأقسامها وأنواعها.
- الصورة الشعرية ومكوّناتها بين النقد والبلاغة.

ب. **علم المعاني**: يدرس المعنى في الكلام الخبري والإنشائي، وأبرز موضوعاته:

- الإسناد الحقيقي والإسناد المجازي، وأحوال المسند والمسند إليه.
- الخبر والإنشاء وأغراضهما وأقسامهما.
- القصر وطرقه.
- الفصل والوصل ومواضعهما.
- الإيجاز والإطناب والمساواة.

1 الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار الغد الجديد، القاهرة، 2014، ص06.

2 قال الرمّاني: «البلاغة: إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ».

ت. **علم البديع**: يدرس ما يزين به الكلام، وتعرف به المحسنات الجمالية المعنوية واللفظية، وأبرز فنونه:

- المحسّنات المعنوية: وتشمل الطّباق، المقابلة، المبالغة، التورية، الالتفات، اللف والنّشر، مراعاة النظير، التجريد، الإرصاد، التضمين، الاقتباس.
- المحسّنات اللفظية: وتتضمن الجناس، السّجع، رد العجز على الصدر، لزوم ما لا يلزم، الموازنة، التشريع، الترصيع[1]...

1 علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، د. محمد أحمد قاسم، د. محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان، 2003م، ص50-51

أولا: الفصاحة

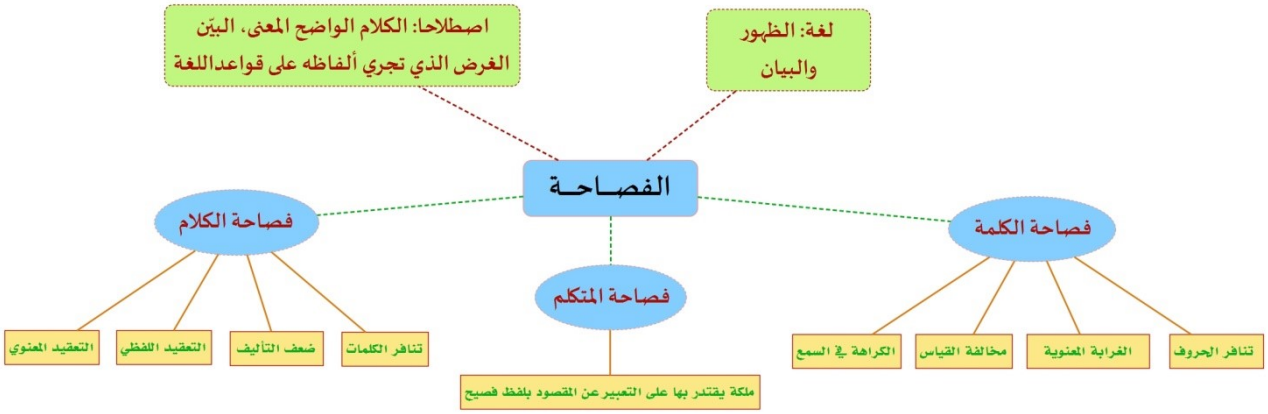

1. **الفصاحة لغة:** جاء في اللسان (فصح)، «الفصاحة: البيان؛ فصح الرجل فصاحة فهو فصيح من قوم فصحاء وفصاح وفصح ... تقول: رجل فصيح أي بليغ، ولسان فصيح أي طلق ... وأفصح عن الشيء إفصاحا إذا بيّنه وكشفه.

2. **الفصاحة اصطلاحا:** الفصاحة هي الكلام الواضح المعنى، البيّن الغرض الذي تجري ألفاظه على قواعد اللغة، فتكون كل لفظة في الكلام بيّنة المعنى، مفهومة، عذبة، سلسة، متمشّية مع القواعد الصرفية»، تقع الفصاحة في الاصطلاح وصفا للكلمة والكلام والمتكلم، فهي تشمل:

1 - فصاحة الكلام. 2 - فصاحة الكلمة. 3 - فصاحة المتكلّم.

1. **فصاحة الكلمة:** ونعني بها المفردة أي اللفظ الواحد مجردا من سياقه الذي انتظم فيه، ولا تكون الكلمة فصيحة إلا إذا خلت من العيوب التالية:

أ. تنافر الحروف: أن تكون حروف الكلمة متآلفة غير متنافرة، والتآلف أن يسهل النطق بها مجتمعة، والتنافر أن يصعب النطق بها مجتمعة، فتكون الكلمة ثقيلة على اللسان، يصعب النطق بها، كما روي أن أعرابيا سئل عن ناقته، فقال: تركتها ترعى الهعخع[1]، ومنه ما هو دون ذلك، كلفظ مستشزر[2] في قول امرئ القيس (الطويل)[3]:

[1] أو الخعخع، وكلاهما اسم لشجر، أو لضرب من النبت، وقيل: هي كلمة موضوعة للمعاياة، أي لمجرد التلفظ بهذا الصوت ولا أصل لها في اللغة.

[2] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: أ.د. أحمد شتيوي، ص17-18

[3] ديوان امرئ القيس، شرح حسن السندوبي، ص 150.

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزَرَاتٌ إلى العُلَا * تَظَلُّ العِقَاصُ في مُثَنّى ومُرْسَلِ**[1]

فكلمة مستشزرات غير فصيحة عندهم لصعوبة النطق بها دفعة واحدة، فيضطر القارئ إلى تجزئتها وقراءتها مقطعيا، ولكن هذه الكلمة تبقى أخف من كلمة (الهعخع) التي عدّها البلاغيون ثقيلة أو هي غاية في الثقل.

ب. **الغرابة:** أن تكون الكلمة وحشية، لا يظهر معناها، فيحتاج في معرفته إلى أن ينقب عنها في كتب اللغة، كما روي عن عيسى بن عمر النحوي، أنه سقط عن حمار، فاجتمع عليه الناس، فقال: «ما لكم تكأكأتم علي تكأكأكم على ذي جنة؟ افرنقعوا عني» أي اجتمعتم، تنحوا، أو يخرج للكلمة وجه بعيد للمراد منها.

ت. **مخالفة الوضع أو القياس اللغوي:** فهو كون الكلمة شاذَّة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب؛ بأن تكون على خلاف ما ثبت فيها عن العرف العربي الصحيح[2]، مثل (الأجلل) في قول أبي النجم:

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ الأَجْلَلِ * الوَاحِدِ الفَرْدِ القَدِيمِ الأَوَّلِ**

فإن القياس (الأجل) بالإدغام، ولا مسوّغ لفكّه وكقطع همزة وصل «اثنين» في قول جميل:

د. **الكراهة في السمع:** فهو كون الكلمة وحشية، تأنفها الطباع وتمجها الأسماع، وتنبو عنها، كما ينبو عن سماع الأصوات المنكرة، (كالجِرَشَّى بمعنى النفس) في قول أبي الطيب المتنبي يمدح سيف الدولة[3]:

مبارك الاسم أغرُّ اللقب * كريم الجرَشَّى شريف النَّسب**

ثم إن علامة كون الكلمة فصيحة أن يكون استعمال العرب الموثوق بعربيتهم لها كثيرا، أو أكثر من استعمالهم ما بمعناها[4].

2. **فصاحة الكلام:** أما فصاحة الكلام فهي خلوصه من العيوب التالية: ضعف التأليف، وتنافر الكلمات، والتعقيد بنوعيه، ووجه حصر فصاحة الكلام في البراءة من هذه العيوب الثلاثة هو أن كل كلام له "مادة" هي أجزاؤه أي: الكلمات التي تركب منها، وله "صورة" هي

---

[1] مستشزرات: مرتفعات أو مفتولات، تضل: تختفي، العقاص: الضفائر، المثنى: المفتول، المرسل: المتروك دون فتل.

[2] جواهر البلاغة في المعاني والبيان، أحمد بن إبراهيم الهاشمي، تدقيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، ص23

[3] جواهر البلاغة في المعاني والبيان، أحمد بن إبراهيم الهاشمي، ص25

[4] الإيضاح في علو م البلاغة، الخطيب القزويني، ص20

هيئة تأليفه من هذه الكلمات، وله دلالة على معناه. فعيبه إما في مادته وهو "التنافر"، أو في صورته وهو "ضعف التأليف" أو في دلالته على المعنى وهو "التعقيد"[1].

أ. تنافر الكلمات: هو أن تكون الكلمات مجتمعة ثقيلة على اللسان؛ يتعسر النطق بها، وإن كانت كل كلمة على حدة لا ثقل فيها، وهو أيضًا نوعان: تنافر شديد، وتنافر قريب منه[2]، فمن ذلك قول الشاعر:

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر**[3]

وأمّا دون ذلك كقول أبي تمام في قصيدة يعتذر بها لممدوحه، ويتبرأ مما نسب إليه زورا وبهتانا:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى * معي وإذا ما لمته لمته وحدي**[4]

والشاهد فيه قوله: "أمدحه أمدحه" فإن في اجتماع هاتين الكلمتين ثقلا في النطق بهما يشعر به صاحب الذوق السليم.

ب. ضعف التأليف: هو أن يكون الكلام في تركيبه مخالفا للمشهور من قوانين النحو التي اعتمدها جمهور النحاة كالإضمار قبل ذكر المرجع لفظا ومعنى وحكما[5]، أي سلامة الكلام من الخطأ النحوي والصرفي، كرجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظًا ممتنع عند الجمهور، لئلا يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر لفظًا ورتبة، فعند قولنا: ضرب أبوه زيدا. فالهاء في «أبوه» ضمير عائد على المفعول به «زيدا» وهذا ممتنع لأنه عاد على متأخر في اللفظ والرتبة، وكقول حسان بن ثابت يرثي مطعم بن عدي:

ولو أن مجدا أخلد الدّهر واحدا * من الناس أبقى مجده الدّهر مطعما**

أعاد الشاعر الضمير المتصل بالفاعل على متأخر لفظا ورتبة، الهاء في مجده عائدة على (مطعما) وهو متأخر في اللفظ والرتبة لأنه مفعول به. وهذا ممنوع عند جمهور البصريين، ولكن بعض الكوفيين، وابن جنّي أجازوا ذلك[6].

---

[1] المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث، ج3 ص32

[2] المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث، ج3 ص32

[3] مجهول القائل، ويدعي بعض الناسبين أنه لجني رثى به حرب بن أمية جد معاوية، بعد أن هتف به فمات.

[4] ذكر الصاحب بن عباد أنه أنشد هذه القصيدة بحضرة ابن العميد, فلما بلغ هذا البيت قال له ابن العميد: هل تعرف فيه شيئا من الهجنة؟ قال: نعم مقابلة المدح باللوم، وإنما يقابل بالذم والهجاء فقال ابن العميد: غير هذا أردت، فقال: لا أدري غير هذا، فقال ابن العميد: هذا التكرار في "أمدحه" مع الجمع بين الحاء والهاء خارج عن حد الاعتدال، نافر كل التنافرن فأثنى عليه الصاحب. نقلا عن المنهاج الواضح للبلاغة ج3 ص33

[5] المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج3 ص34

[6] علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، د. محمد أحمد قاسم، د. محي الدين ديب، ص32

ت. التعقيد:

وهو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع فيه[1]، وله سببان:

1. **التعقيد اللفظي:** أن يكون التعقيد راجعا لخلل واقع في نظمه وتركيبه، بحيث لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم، أو تأخير، أو فصل، أو حذف، أو نحو ذلك مما يترتب عليه صعوبة فهم المعنى المراد، كقول الفرزدق يمدح إبراهيم بن المخزومي خال هشام بن عبد الملك، أحد خلفاء بني أمية:

وَما مِثلُه فِي النَّاس إلَّا مُـمَلَّكًا * أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهُ**

ليس مثل الممدوح في الناس حي يقاربه في الفضائل إلا مملكا (يريد هشاما) أبو أم ذلك الملك أبو الممدوح أي: لا يحاكيه أحد إلا ابن أخته وهو "هشام". ففيه فاصل كبير بين البدل وهو "حي" والمبدل منه وهو "مثله" وفيه تقديم المستثنى وهو "مملكا" على المستثنى منه وهو "حي"، وفيه فصل بين المبتدأ والخبر وهما: "أبو أمه أبوه" بأجنبي هو "حي"، وبين الصفة والموصوف وهما: "حي يقاربه" بأجنبي هو "أبوه"[2]. فانظر إلى أي حد وصل تعقيد اللفظ حتى عمي المعنى، واستغلق على الفهم[3].

2. **التعقيد المعنوي:** بأن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد؛ فيكون انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم من اللفظ لغة إلى المعنى الثاني المقصود غير ظاهر[4]، بحيث

---

1 هذا تعريف للتعقيد بالمعنى الاصطلاحي الذي هو كون الكلام معقدا، لا بالمعنى اللغوي الذي هو مصدر عقَّدَ المتكلم كلامه تعقيدا، إذا أخفى المراد منه، فإنه بهذا المعنى لا يصح حمل التعريف المذكور عليه؛ لأن التعقيد بهذا المعنى وصف للمتكلم والتعريف المذكور من صفات الكلام، واحترز بقوله: لخلل واقع فيه عما خفي المراد منه لا لخلل فيه، بل لإرادة المتكلم إخفاء المراد منه لحكمة، كالذي ورد في القرآن من المتشابه والمجمل والمشكل، فلا تعقيد فيه. نقلا عن: المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج3 ص38

2 المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج3 ص39

3 قيل: ويمكن أن يخرج البيت على وجه لا تعقيد فيه, فيجعل "إلا مملكا" مستثنى من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور الواقع خبر "ما" أو خبر "مثله" على الخلاف في جعل "ما" حجازية أو تميمية، ويجعل "أبو أمه" مبتدأ و"حي" خبرا، ويجعل "أبوه" خبرا بعد خبر، والجملة صفة "لمملكا"، وكذلك جملة "يقاربه" أي: إلا مملكا موصوفا بهذه الصفة، وبأنه يقارب خاله في الفضائل. وعلى هذا القول يكون المراد بالحياة في قوله: "حي" الشبوبية والفتوة، وغاية ما يرد على هذا الوجه أن فيه نصب "مملكا"، والمختار رفعه لتأخر المستثنى على المستثنى منه بعد النفي.

4 المعنى الأول: هو المعنى الأصلي، والمعنى الثاني: هو المعنى المجازي أو الكنائي، ويسميه عبد القاهر (معنى المعنى) نقلا عن الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ص22.

يكون إدراك المعنى الثاني من الأول بعيدا عن الفهم، يحتاج إلى تكلف بسبب استعمال اللفظ في معنى خفي لزومه للمعنى الأول[1]، كقول العباس بن الأحنف:

سأطلُبُ بُعدَ الدَّارِ عنكُمْ لتَقرَبُوا * وتسكُبُ عَينايَ الدُّموعَ لِتَجمُدَا**

كنى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن، واصاب لأن من شأن البكاء أن يكون كناية عنه، ثم اطرد ذلك في نقيضه، فأراد أن يكني عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود، لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقا من غير اعتبار شيء آخر، وأخطأ، لأن الجمود خلو العين من البكاء في حال إرادة البكاء منها، فلا يكون كناية عن المسرة وإنما يكون كناية عن البخل[2].

فصاحة المتكلم: «ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح»[3]، فالمدار في فصاحته على أن تكون هذه الصفة غريزة فيه يستطيع أن يستخدمها متى شاء، في أي فن من فنونه كالمدح، والذم، والرثاء، والفخر، والتشبيب...وتكوين هذه الملكة إنما يكون بممارسة أساليب العرب الفصحاء، والوقوف على أسرارها، وحفظ الكثير من عيون كلامهم شعرا ونثرا[4].

[1] شرط فصاحة الكلام أن يكون المعنى الثاني المراد قريبا فهمه من المعنى الأصلي كمعنى "الكرم" المفهوم من كثرة الرماد في قولك: محمد كثير الرماد, وكمعنى "الشجاع" المفهوم من الأسد في قولك: رأيت أسدا يعطي. فإن كان المعنى الثاني بعيدا فهمه من المعنى الأول, يحتاج في إدراكه إلى تكلف وتمحل بسبب استعمال اللفظ فيما لزم معناه لزوما خفيا، كان الكلام معقدا, فلا يكون فصيحا. نقلا عن المنهاج الواضح للبلاغة، ج3ص42

2 الجمود: كناية عن البخل بالدموع.

3 الإيضاح، القزويني، ص26

[4] المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج3 ص49

ثانيا: البـلاغـة

أ. تعريف البلاغة:

البلاغة فَعَالَة، مصدر بلُغ بضم اللام كفَقُه وهو مشتق من بلَغ بفتح اللام بلوغاً بمعنى وصل، وإنما سمي هذا العلم بالبلاغة لأنه بمسائله وبمعرفتها يبلغ المتكلم إلى الإفصاح عن جميع مراده بكلام سهل وواضح ومشتمل على ما يعين على قبول السامع له ونفوذه في نفسه[1].

- إذا فالبلاغة في اللغة: بلوغ الرجل بعبارته كنه مراده، أي: غايته. يقال: بلغ محمد بلاغة، إذا كان يبلغ بعبارته الغاية التي يريدها.
- أما معناها في الاصطلاح: «هي مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، فلا بدّ فيها من التفكير في المعاني الصادقة القيّمة القوية المبتكرة منسّقة حسنة الترتيب، مع توخّي الدقّة في انتقاء الكلمات والأساليب على حسب مواطن الكلام ومواقعه وموضوعاته وحال من يكتب لهم أو يلقى إليهم»[2]، وتختلف باختلاف موصوفها وهو أحد اثنين: الكلام والمتكلم. يقال: هذا كلام بليغ، وهذا متكلم بليغ ولا توصف بها الكلمة، فلا يقال: هذه كلمة بليغة؛ لعدم ورود السماع بذلك[3].

ب. بلاغة الكلام:

هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته[4]، أي سلامته من العيوب المخلة بفصاحته، وفصاحة أجزائه[5].

ومقتضى الحال مختلف[6]، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التنكير يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام

---

1 موجز البلاغة، الطاهر بن عاشور، ص5

2 علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، د. محمد أحمد قاسم، د. محي الدين ديب، ص8، نقلا عن: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه- كامل المهندس.

3 المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج3 ص28

4 الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص26

5 المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج3 ص28

6 مثال ذلك أن تقول لمنكر إمارة شوقي للشعر: "إن شوقيا لأمير الشعر" فإنكار المخاطب هو الحال؛ لأنه أمر دعاك لأن تورد كلامك مصورًا بصورة التأكيد, وصورة التأكيد هي مقتضى الحال، واشتمال هذا الكلام على هذه الصورة هو المطابقة للمقتضى, فهذا القول حينئذ كلام بليغ؛ لأنه مطابق لمقتضى الحال. نقلا عن: المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج1 ص29

الحذف، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي.

وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب[1].

دعائم البلاغة: تقوم البلاغة على دعائم ثلاثة:

1. **اختيار اللفظ**
2. **حسن التركيب وصحته**
3. **اختيار الأسلوب الذي يصلح للمخاطبين، مع حسن ابتداء وحسن انتهاء.**

ت. بلاغة المتكلم:

ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ[2]، أي صفة قائمة بالمتكلم راسخة فيه، يتمكن بها متى شاء من تأليف كلام بليغ في أي معنى يريده.

وقياسًا على ما سبق من أن البلاغة أخص من الفصاحة، يكون المتكلم البليغ أخص من الفصيح؛ لأن المتكلم البليغ هو من به ملكة الإتيان بكلام بليغ، والكلام البليغ "كما تقدم" مشروط فيه الفصاحة؛ وحينئذ لا يكون المتكلم بليغًا حتى يكون فصيحًا، أما المتكلم الفصيح فقد يفقد صفة البلاغة بأن يصوغ كلامًا خاليًا من العيوب المخلة بالفصاحة، غير مطابق لمقتضى الحال كما إذا قلت لمنكر نجاح أخيه: "نجح أخوك" من غير تأكيد.

ومما تقدم تعلم أن البلاغة يتوقف تحققها على أمرين:

الأول: الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وهو معنى مطابقة الكلام لمقتضى حال الخطاب، على ما تقدم بيانه.

الثاني: سلامته من العيوب المخلة بفصاحته[3].

بين الفصاحة والبلاغة:

إنما اشترط في بلاغة الكلام أن يسلم من العيوب المخلة بفصاحته وفصاحة أجزائه؛ لتعلم أن البلاغة أخص من الفصاحة، وأن كل كلام بليغ لا بد أن يكون فصيحًا ولا عكس.

---

1 الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص26-27

[2] الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ص29

[3] المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج1 ص31-32

فإذا قلت لمن ينكر كرم علي ونبله: "علي كريم الخلق نبيل الطبع" من غير تأكيد، كان كلامك فصيحًا لسلامته من العيوب المخلة بالفصاحة، ولكنه ليس بليغًا لعدم مطابقته لمقتضى حال المنكر؛ إذ إن حاله يقتضي التأكيد محوًا لإنكاره.

فعلم من هذا أن الكلام لا يكون بليغًا إلا إذا كان فصيحا لأخذ شرط الفصاحة فيه، أما الفصاحة في الكلام فتتحقق بدون البلاغة لعدم أخذ شرط البلاغة فيها[1].

[1] المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج1 ص31

عُلوم البلاغةِ:

هي من أجل علوم العربية قدراً، وأجزلها نفعاً، بها يظهر إعجاز القرآن وتُجلي عرائس البيان، وبفضلها يهْتدى إلى حسْن اللفظ وجودة الوصف ولطف الإشارة وحسن الاستعارة. فإذا كان اللفظُ فصيحاً والمعنى شريفاً صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة.

قال أحد البلغاء: لا يوصف الكلام بالبلاغة حتى يتسابق لفظُهُ معناه ومعناه لفظهُ فلا يكون لفظهُ إلى سمعك أقرب من معناه إلى قلبك.

فما يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى المراد هو علم المعاني.

وما يحترز به التعقيد المعنوي هو علم البيان.

وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته، هو علم البديع.

علم المعاني: « هو العلم الذي يعرف به أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال، فهو يبحث في الأساليب والجمل العربية باعتبار إفادتها لمعان زائدة على أصل المعنى»[1].

علم البيان: هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة أي إيراده مرّة بطريق التشبيه، وثانية من طريق المجاز، وثالثة من طريق الكناية، وهكذا.

علم البديع: البديع تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي تزيين الألفاظ أو المعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي أو المعنوي ، ويسمّى العلم الجامع لطرق التزيين، أو هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة[2].

1 علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، د. محمد أحمد قاسم، د. محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس-لبنان، ط1، 2003 م، ص259

2 علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، د. محمد أحمد قاسم، د. محي الدين ديب، ص139

ثالثا: الأسلوب الخبري وأضربه

علم المعاني: علم المعاني أصولٌ وقوَاعِد يُعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مُطابقاً لِمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغَرَضِ الذي سيقَ له.

فذكاء المُخاطب: حال تَقتضي إيجاز القول، فاذا أوَجزتَ في خطابه كان كلامك مطابقاً لمقتضى الحال، وغباوته حال تقتضي الإطناب والإطالة، فإذا جاء كلامك في مخاطبته مطنباً: فهو مطابق لمُقتضَى الحال، ويكون كلامك في الحالين بليغان وَلو أنك عكست لانتفت من كلامك صفة البلاغة.

موضوعه: اللَّفظُ العربي، من حيثُ إفادتُه المعاني الثَّواني، التي هي الأغراض المقصودةُ للمتكلّم، من جعل الكلام مشتملا على تلك اللَّطائف والخصوصيّات، التي بها يُطابقُ مُقتضى الحال.

فائدته: معرفة إعجاز القرآن الكريم، من جهة ما خصَّه الله به من جودة السبَّك، وحُسن الوصف، وبَراعة التَّراكيب، ولُطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سُهولة التَّركيب، وجزالة كلماته، وعُذوبةِ ألفاظه وسلامتها – إلى غير ذلك من محاسنه التي اقعدت العرب عن مناهضته، وحارتَ عقولهُم أمام فصاحته وبلاغته.

– الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة: في مَنثور كلام العرب ومنظومه كي تحتذىَ حذوه، وتَنسُجَ على منواله، وتُفرقَ بين جَيِّد الكلام وَرديئه.

واضعه: الشيخ عبد القاهر الجُرجاني، المُتوفى سنة 471 هـ.

الخبر: الخبر كلامٌ يحتملُ الصدق والكذب لذاته، أو «الخبرُ هو ما يتحقّق مدلولهُ في الخارج بدون النطق به» نحو: العلم نافعٌ، فقد أثبتنا صفة النَّفع للعلم، وتلك الصَّفة ثابتة له (سواء تلفظت بالجملة السابقة أم لم تتلفّظ) لأن نفع العلم أمرٌ حاصل في الحقيقة والواقع.

الإسناد: لكل جملة رُكنينِ مسنداً – ويسمى محكوماً به – أو مُخبراً به ومُسنداً إليه، ويسمى محكوماً عليه – أو مُخبرا عنه وأمّا النسبة التي بينهما فتُدعى «إسناداً» وما زاد على المسند والمسند إليه من مفعول وحال، وتمييز، ونحوها – فهو قيد زائد على تكوينها – إلاّ صِلَة الموصول، والمضاف إليه[1].

[1] اعلم أن الجمل ليست في مستوى واحد عند أهل المعاني، بل منها جمل رئيسية وجمل غير رئيسية، والأولى هي المستقلة التي لم تكن قيداً في غيرها، والثانية ما كانت قيدا إعرابيا في غيرها، وليست مستقلة بنفسها.

والقيود هي: أدوات الشرط، والنفي، والتوابع، والمفاعيل، والحال، والتمييز وكان وأخواتها، وان واخواتها، وظن أخواتها

«والإسناد» انضمامَ كلمةِ «المُسند» إلى أخرى «المسند إليه» على وَجهٍ يُفيد الحكم بإحداهما على الأخرى: ثُبوتاً – أو نفياً نحو: الله واحدٌ لا شريك له.

مواضع المسند: ثمانية هي:

1. خبر المبتدأ، نحو: الله قادر.
2. الفعل التام، نحو: جاء الطلّاب.
3. اسم الفعل، نحو: دونك الكتاب.
4. المبتدأ الوصف المستغني بمرفوعه عن الخبر، نحو: أعارف أخوك قدر الإنصاف؟
5. أخبار النواسخ (كان وأخواتها، إنّ وأخواتها، ...) نحو: كان الطقس جميلا. إن الطقس جميل.
6. المفعول الثاني لـ (ظنّ واخواتها)، نحو: ظننت الخبر صادقا.
7. المفعول الثالث لـ (أرى واخواتها)، نحو: أريته المسألةَ سهلةً.
8. المصدر النائب عن فعل الأمر، نحو: سعيا في الخير.

مواضع المسند إليه: ستّة هي:

1. فاعل الفعل التام، نحو: قَدِمَ المدير. أو لشبه الفعل من الأسماء، نحو: جاء صديقي العالم أبوه.
2. نائب الفاعل، نحو: طُبِعَ الكتابُ.
3. أسماء النواسخ، نحو: كان المطر غزيرا. إنّ المطر غزير.
4. المبتدأ الذي له خبر، نحو: العلم نافع.
5. المفعول الأول لـ (ظنّ واخواتها)، نحو: ظننت الدرس سهلا.
6. المفعول الثاني لـ (أرى وأخواتها)، نحو: أريته المسألة سهلة.

أغراض الخبر:

الأصلُ في الخبر أن يلقى لأحد غرضين:

1. إما إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة، إذا كان جاهلا له، ويسمى هذا النوع «فائدة الخبر» نحو «الدين المعاملة».

2. وإما إفادة المخاطب أن المتكلم عالم أيضا، وبأنه على علم بالخبر، كما تقولُ لتلميذ أخفى عليك نجاحه في الامتحان، وعلمته من طريق آخر: نجحت في الامتحان، ويسمى هذا النوع: «لازمَ الفائدة» لأنه يلزم في كل خبر أن يكون المخبر به عنده علمٌ أو ظَن به.

وقد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين إلى أغراض أخرى تستفاد بالقرائن، ومن سياق الكلام، أهمها:

1. الاسترحام والاستعطاف، نحو: إني فقير إلى عفو ربي.
2. وتحريكُ الهمة إلى ما يلزم تحصيله، نحو: ليس سواء عالم وجهول.
3. وإظهار الضعف والخشوع، نحو: ﴿ربّ إني وَهنَ العظم مني﴾.
4. وإظهار التحسر على شيء محبوب نحو: ﴿رب إني وضعتها أنثى﴾.
5. والتوبيخ كقولِك للعاثر: الشمس طالعةٌ.
6. التَّذكير بما بين المراتب من التَّفاوت، نحو: لا يستوي كسلان ونشيط.
7. التحذير، نحو: أبغضُ الحلال إلى الله الطلاق.
8. الفخر، نحو: إن الله اصطفاني من قريش.
9. المدح، كقوله: فإنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكب

وقد يجيء لأغراض أخرى والمرجع في معرفة ذلك إلى الذوق والعقل السليم.

أضرب الخبر:

تختلف صور الخبر في أساليب اللغة باختلاف أحوال المخاطب الذي يعتريه ثلاث أحوال:

أولا. أن يكون المخاطب خالي الذهن من الخبر، غير متردد فيه، ولا منكر له: وفي هذه الحال لا يؤكد له الكلام، لعدم الحاجة إلى التوكيد نحو قوله تعالى – ﴿**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**﴾.

ويسمى هذا الضرب من الخبر (**ابتدائياً**) ويستعمل هذا الضرب حين يكون المخاطب خالي الذهن من مدلول الخبر فيتمكن فيه لمصادفته اياه خاليا.

ثانياً. أن يكون المخاطب متردداً في الخبر، طالباً الوصول لمعرفته، والوقوف على حقيقته فيستحسن تأكيد الكلام المُلقى إليه تقوية للحكم، ليتمكن من نفسه، ويطرح الخلاف وراء ظهره، نحو: إن الأمير منتصرٌ. ويسمى هذا الضرب من الخبر (**طلبياً**).

ويؤتى بالخبر من هذا الضرب حين يكون المخاطب شاكًّا في مدلول الخبر، طالباً التثبت من صدقه.

ثالثاً. أن يكون المخاطب منكراً للخبر الذي يراد إلقاؤه إليه، معتقداً خلافه فيجب تأكيد الكلام له بمؤكد أو مؤكدين أو أكثرَ، على حسب حاله من الإنكار، قوة وضعفاً، نحو: إن أخاك قادمٌ – أو إنه لقادم – أو والله إنه لقادم أو لعمري، إن الحق يعلو ولا يُعلى عليه.

ويسمى هذا الضرب من الخبر (**إنكارياً**) ويؤتى بالخبر من هذا الضرب حين يكون المخاطب مُنكرا.

واعلم أنه كما يكون التأكيد في الإثبات، يكون في النفي أيضاً، نحو: ما المقتصد بمفتقر، ونحو: والله ما المُستشير بنادم.

تنبيهات:

الأول: لتوكيد الخبر أدوات كثيرة، وأشهرها إن، وأن، ولام الابتداء، وأحرف التنبيه، والقسم، ونونا التوكيد، والحروف الزائدة (كتفعل واستفعل) والتكرار، وقد، وأما الشرطية، وإنما واسمية الجملة، وضمير الفصل، وتقديم الفاعل المعنوي.

رابعا. الأسلوب الإنشائي وأضربه

تعريف الإنشاء: الإنشاء في اللغة الإيجاد والاختراع.

وفي الاصطلاح: هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه.

أقسام الإنشاء: ينقسم الإنشاء إلى نوعين: إنشاء طلبي – وإنشاء غير طلبي.

أولا. الإنشاء غير الطلبي: ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويكون: بصيغ المدح، والذم، وصيغ العقود، والقسم، والتعجب والرجاء، وكذا يكون بربَّ ولعلَّ، وكم الخبرية.

1. **المدح والذم:** فيكونان بنعم وبئس، وما جرى مجراهما نحو حبذا، والأفعال المحوّلة إلى فعل نحو طاب عليٌّ نفساً، وخبث بكر أصلاً.
2. **العقود:** فتكون بالماضي كثيراً، نحو: بعتُ واشتريتُ ووهبتُ، وأعتقتُ، وبغيره قليلا، نحو: أنا بائع، وعبدي حرٌ لوجه الله تعالى.
3. **القسم:** فيكون: بالواو، والباء، والتاء، نحو: والله لأنصرن المظلوم، وبغيرها نحو: لَعَمْرُكَ ما فعلت كذا.
4. **التّعجب:** فيكون قياساً[1] بصيغتين، ما أفعله، وأفعل به، وسماعاً بغيرهما، نحو: لله دره عالما، ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾.
5. **الرجاء:** فيكون: بعسى، وحرى، واخلولق، نحو: عسى الله أن يأتي بالفتح.

والإنشاء غير الطلبي لا يحظى باهتمام كبير عند علماء البلاغة، لأن أكثر صيغه في الأصل أخبارٌ نقلت إلى الإنشاء، والتركيز منصب في علم المعاني على الإنشاء الطلبي لما يمتاز به من لطائف بلاغية.

ثانيا. الإنشاء الطلبي: هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصلٍ في اعتقاد المتكلم وقت الطلب.

وأنواعه خمسة، الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

[1] القياس ما له قاعدة يتبعها، والسماعي: ما ليس له قاعدة وإنما يعتمد على السماع من أفواه العرب، وما جمعه العلماء في المعاجم.

1. الأمر: هو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وله أربع صيغ

(1) فعل الأمر، كقوله تعالى: ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾.

(2) والمضارع المجزوم بلام الأمر، كقوله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته﴾.

(3) واسم فعل الأمر، نحو «عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم».

(4) والمصدر النائب على فعل الأمر، نحو: سعياً في سبيل الخير.

وقد تخرج صيغ الأمر عن معناه الأصلي وهو (الإيجاب والإلزام) إلى معان أخرى: تستفاد من سياق الكلام، وقرائن الأحوال.

(1) كالدعاء، في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾.

(2) والالتماس، قولك لمن يساويك: أعطني القلم.

(3) والإرشاد، قوله تعالى: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾.

(4) والتهديد، قوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم، إنه بما تعملون بصير﴾.

(5) والتعجيز، كقوله تعالى: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾.

(6) والإباحة، كقوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾.

ونحو: اجلس كما تشاء.

(10) والإهانة، كقوله تعالى: ﴿كونوا حجارةٍ أو حديداً﴾.

(12) والتمني، كقول امرئ القيس

ألاَ أيها الليل الطويل ألا انجلي* بصبح وما الاصباح منك بأمثل**

(16) والتخيير، نحو: تزوج هنداً أو أختها.

(18) والتعجب، كقوله تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾.

2. النهي: هو طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام، وله صيغة واحدة، وهي المضارع المقرون بلا الناهية، كقوله تعالى: ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ ﴿وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ وقد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أخر، تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

(1) كالدُّعاء، نحو قوله تعالى: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾

(2) والالتماس، كقولك لمن يُساويك – أيها الأخ لا تتوان.

(3) والإرشاد، كقوله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾.

(7) والتمني، نحو: يا ليلة الأنس لا تنقضي.

وكقوله: يا ليلُ طل يا نومُ زلْ *** يا صبح قف لا تطلع

(8) والتهديد، كقولك لخادمك – لا تطع أمري.

(9) والكراهة، نحو لا تلتفت وأنت في الصلاة.

(10) والتوبيخ، نحو لا تنه عن خلق وتأتى مثله

(12) والتحقير، كقوله:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي**

3. **الاستفهام**: هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل وذلك بإحدى أدواته المعروفة:

حرفان: الهمزة، وهل،

وأسماء: ما، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي،

وتقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

(أ) ما يطلب به التصور تارة، والتصديق تارة أخرى، وهو: الهمزة.

(ب) وما يطلب به التصديق فقط، وهو، هل.

(جـ) وما يطلب به التصور فقط، وهو بقية الفاظ الاستفهام.

(1) الهمزة: يطلب بالهمزة أحد أمرين: تصور، أو تصديق.

(1) فالتصور: هو إدراك المفرد نحو: أعليّ مسافر أم سعيد؟ تعتقد أن السفر حصل من أحدهما، ولكن تطلب تعيينه، ولذا يجاب فيه بالتعيين، ويقال: سعيد مثلاً، وحكم الهمزة التي لطلب التصور، أن يليها المسؤول عنه بها، سواء أكان:

(1) مسنداً إليه نحو: أأنت فعلت هذا أم يوسف؟ (2) أم مسنداً نحو: أراغبٌ أنت عن الأمر أم راغب فيه؟

(3) أم مفعولا نحو: أإياي تقصد أم سعيداً؟ (4) أم حالا نحو: أرا كباً حضرت أم ماشيا؟

(5) أم ظرفا نحو: أيومَ الخميس قدمت أم يوم الجمعة؟ ويذكر المسئول عنه في التصور بعد الهمزة، ويكون له معادل يذكر بعد أم غالباً: وتسمى متصلة.

(ب) والتصديق «هو إدراك وقوع نسبة تامة بين المسند والمسند إليه، أو عدم وقوعها»، بحيث يكون المتكلم خالي الذهن مما استفهم عنه في جملته، مصدقا للجواب، إثباتاً «بنعم» أو نفياً «بلا» وهمزة الاستفهام تدل على التصديق إذا أريد بها النسبة ويكثر التصديق في الجمل الفعلية، كقولك: أحضر الأمير؟

تستفهم عن ثبوت النسبة ونفيها، وفي هذه الحالة يجاب بلفظة: نعم أو لا.

(2) هل: يطلب بها التصديق فقط، أي معرفة وقوع النسبة، أو عدم وقوعها لا غير نحو: هل حافظ المصريون على مجد أسلافهم؟ وعليه يكون الجواب: بنعم أو لا.

ولأجل اختصاصها بطلب التصديق لا يذكر معها المعادل بعد أم المتصلة – فلذا، امتنع: هل سعد قام أم سعيد؟ لأن وقوع المفرد وهو سعيد بعد «أم» الواقعة في حيز الاستفهام دليل على أن أم متصلة، وهي لطلب تعيين أحد الأمرين، ولابدَّ حينئذ أن يعلم بها أولا أصل الحكم.

الهمزة وهل، يُسأل بهما عما بعدهما لأنهما حرفان ليس لهما معنى مُستقلا.

بقية أدوات الاستفهام: موضوعة (للتصور) فقط فيُسأل بها عن معناها وهي:

ما، ومن، ومتى، وأيان، وكيف، وأينَ، وانّى، وكَم، وأي، ولهذا يكون الجوابُ معها بتعيين المسؤول عنه.

الأغراض البلاغية للاستفهام: وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي (وهو طلب العلم بمجهول) فيستفهم بها عن الشّيء مع (العلم به)، لأغراض أخرى: تُفهَم من سِياق الكلام ودلالته، ومن أهمّ ذلك.

(1) الأمر، كقوله تعالى: ﴿فَهَل أنت مُنتَهُون﴾ أي، انتهوا.

(2) والنَّهي، كقوله تعالى: ﴿أتخشَونهُم فاللهُ أحقُ أن تخشوهُ﴾.

(3) والتسوية، كقوله تعالى: ﴿سَوَاء عليهم أأنذَرتَهُم أم لم تنُذرهم لا يؤمنون﴾.

(4) والنفي، كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَان﴾.

(5) والإنكار، كقوله تعالى: ﴿أغيرَاللهِ تَدعون﴾.

(6) والتشويق، كقوله تعالى: ﴿هل أدُلكم على تجارةٍ تنجيكم من عذاب أليم﴾.

(7) والاستئناس، كقوله تعالى: ﴿وما تلك بيمينك يا مُوسى﴾.

(8) والتَّقرير، كقوله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾.

(9) والتَّهويل، كقوله تعالى: ﴿الحاقَّةُ ما الحاقَّةُ وما أدراك ما الحاقَّة﴾

(10) والاستبعاد، كقوله تعالى ﴿أنَّى لهم الذِّكرى وقد جاءهم رسول مبين﴾

(11) والتعظيم، كقوله تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾

(12) والتحقير، نحو: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾

(13) والتَّعجُّب، كقوله تعالى: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطَّعامَ ويَمشي في الأسواق﴾

(14) والتهكم، نحو: أعقلك يُسوغُ لك أن تفعل كذا؟

(15) والوعيد، نحو: ﴿ألم تَركيفَ فعل ربّك بعادٍ﴾

(17) والتَّنبيه على الخطأ، كقوله تعالى: ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هُوَ خيرٌ﴾

(18) والتَّنبيه على الباطل، كقوله تعالى: ﴿أفأنت تُسمِع الصُّم أو تهدى العُمى﴾

4. التمني: هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يُرجى، ولا يتوقَّع حصوله إما لكونه مستحيلا أو لكونه ممكناً غير مطموعٍ في نيله.

فالمستحيل نحول قول الشاعر:

ألا ليتَ الشبّابَ يعودُ *** يوما فأخبَره بما فعلَ المشيبُ

و غير المطموعٍ في نيله: كقوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾.

وللتمني أربع أدوات واحدةٌ أصلية: وهي «ليتَ» وثلاث غيرُ أصلية نائبة عنها، ويتمنى بها لغرض بلاغي، وهي:

(1) هل، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾.

(2) ولو، كقوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

(3) ولعلَّ، كقوله: **أسربَ القَطا هل من يعير جناحهُ؟*** لعلّي إلى من قد هويت أطيرُ**

ولأجل استعمال هذه الأدوات في التمنّي ينُصبُ المضارع الواقع في جوابها.

5. النِّداء: هو طلبُ المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب «أنادي» المنقول من الخبر إلى الانشاء - وأدواته ثمان الهمزة، وايّ، ويا، وآي، و أيَا وَهيا، ووا، وهي في كيفية الاستعمال نوعان:

(1) الهمزة وأيّ: لنداء القريب

(2) وباقي الأدوات لنداء البعيد.

وقد يُنزلُ البعيد منزلة القريب، فينادي بالهمزة وأيّ، إشارةً إلى أنه لشدة استحضاره في ذهن المتكلّم صار كالحاضر معه، لا يغيب عن القلب، وكأنه ماثلٌ أمامَ العين، كقول الشاعر:

أَسُكانَ نعمانِ الأراكِ تيقَّنوا * بأنكُم في ربع قلبي سُكانُ**

وقد يُنزل القريب منزلة البعيد، فينادَى بغير «الهمزة، وأي»

- إشارة إلى عُلُوّ مرتبته، فيجعلُ بعدُ المنزلة كأنه بُعد في المكان كقوله «أيا مولاي» وانت معه للدلالةِ على ان المُنادي عظيمُ القدر، رفيعُ الشأن.
- أو إشارة إلى انحطاط منزلته ودرجته – كقولك «أيا هذا» لمن هو معك.
- أو إشارة إلى أنّ السامعَ لغفلته وشُرود ذهنه كأنّه غير حاضر كقولك للساهي – أيا فلانُ – وكقول البارودي:

يا أيُّها السادر المزور من صلفٍ * مَهلاً، فإنك بالأيّام مُنخَدع**

الأغراض البلاغية للنداء: وقد تخرج ألفاظ النّداء عن معناه الأصلي إلى معان أخرى، تفهم من السِّياق بمعونة القرائن ومن أهمّ ذلك:

(1) الإغراء، نحو قولك لمن أقبل يتظلَّم: يا مظلومُ.

(2) والاستغاثة، نحو: يا لله للمؤمنين.

(3) والندبة، نحو قول الشاعر

فوا عجباً كم يدَّعي الفضلَ ناقصٌ * وَوَا أسفاً كم يظهر النقص فاضل**

(4) والتّعجب، كقول الشاعر

يا لك من قُبَّرة بمعمرِ خلاَ * لكِ الجوُّ فبيضى واصفري**

(5) والزجر، كقول الشاعر:

أفؤادي متى المتابُ ألَّما تصحُ * والشَيبُ فوق رأسي ألمَّا**

(6) والتحسُّر والتَّوجُّع، كقوله تعالى: ﴿يا ليتني كنتُ تراباً﴾.

(7) والتَّذكر كقوله:

أيا منزلي سلمى سلامٌ عليكما * هل الأزمُن اللاتي مضينَ رواجع**

(8) والتحيرُّ والتضجُّر، نحو قول الشاعر:

أيا مَنازلَ سلمى أين سلماك * من أجل هذا بكيناهاَ بكيناك**

ويكثر هذا في نداء الأطلال والمطايا ونحوها.

(9) والاختصاص، هو ذكر اسم ظاهر بعد ضمير لأجل بيانه.

نحو قوله تعالى: ﴿رحمةُ الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميدٌ مجيد﴾، ويكون ذلك:

«أ» إمَّا للتَّفاخر – نحو: أنا أكرمُ الضيف أيها الرجل.

«ب» وإما للتَّواضُع – نحو: أنا الفقيرُ المسكين أيّها الرجل.

التقديم والتأخير [1]

الأصل في الجملة الفعليّة تقديمُ المسند "= المحكوم به" وهو الفعل، ويُلْحَقُ به مَا يعمل عمل الفعل، وتأخير المسند إليه"= المحكوم عليه" وهو الفاعل أو ما يَنُوب منابه، ثم تأتي متعلقات الفعل أو ما يعمل عمله.

وأنّ الأصل في الجملة الاسميّة تقديم المسند إليه "= المحكوم عليه" وهو المبتدأ وما يتصل به، وتأخير المسند "= المحكوم به" وهو الخبر وما يتّصل به، وبعد ذلك تأتي متعلقات الخبر المماثلة لمتعلقات الفعل، إذا كان الخبر ممّا يعلم عمل الفعل، أو جملة مصدّرة بفعل.

أهم الدواعي والأغراض البلاغية التي توجب التقديم والتأخير في الكلام هي:

1. **التشويق إلى المتأخر إذا كان المتقدم مشعرا بغرابة:** نحو قول الشاعر:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر**

فهنا قدم المسند إليه وهو «ثلاثة» واتصف بصفة غريبة تشوق النفس إلى الخبر المتأخر، وهي «تشرق الدنيا ببهجتها»، فإشراق الدنيا أمر يشوق النفس إلى أن تعرف هذه الأشياء الثلاثة التي جعلت الدنيا بحسنها تتألق وتضيء. فإذا عرفت النفس ذلك تمكن الخبر المتأخر فيها واستقر.

2. **تعجيل المسرة أو المساءة للتفاؤل أو التطير:**

فالتعجيل بالمسرة نحو: الجائزة الأولى في المسابقة كانت من نصيبك. ونحو: براءة المتهم حكم بها القاضي.

والتعجيل بالمساءة نحو: الفشل أصيب به العدو، والخسائر في جيشه كبيرة، ونيران الأسلحة المختلفة تطارد فلوله في كل مكان.

3. **كون المتقدم محط الإنكار والتعجب:** نحو قوله تعالى: ﴿أَراغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إِبْراهِيمُ؟﴾ فإنما قدم خبر المبتدأ عليه في قوله أَراغِبٌ أَنْتَ ولم يقل «أأنت راغب» وذلك لأهمية المتقدم وشدة العناية به، وفي ذلك ضرب من التعجب والإنكار لرغبة إبراهيم عن آلهته، وأن آلهته لا ينبغي أن يرغب عنها.

4. **النص على عموم السلب أو سلب العموم:**

---

[1] علم المعاني، عبد العزيز عتيق (ت 1396 ه)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 1430 هـ - 2009 م، مبحث مقتبس بالكامل.

فالنص على عموم السلب يعني شمول النفي لكل فرد من أفراد المسند إليه، ويكون عادة بتقديم أداة من أدوات العموم على أداة نفي نحو: **كل قوي لا يهزم**.

ففي هذا المثال أداة عموم هي «كل» مقدمة على أداة نفي هي «لا»، والكلام هنا يفيد شمول السلب أو النفي لكل فرد من أفراد المسند إليه المتقدم، إذ المعنى: «لا يهزم أحد أو أي فرد من الأقوياء»، والسبب في إفادة الكلام شمول النفي هنا أن أداة العموم بهذا الوضع تكون المتسلطة على النفي، العاملة فيه بكليتها، وذلك يقتضي عموم النفي وشموله، ومن أمثلة ذلك أيضا: **من يظلم الناس لا يفلح**.

والنص على سلب العموم يكون عادة بتأخير أداة العموم عن أداة النفي. والنفي في سلب العموم أو نفي الشمول ليس عاما شاملا لكل الأفراد، بل يفيد ثبوت الحكم لبعض الأفراد ونفيه عن البعض الآخر، كقول المتنبي:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن**

5. **تقوية الحكم وتقريره:** وذلك كقولك عن شخص كريم: «**هو يعطي الجزيل**»، فأنت لا تريد أن غيره لا يعطي الجزيل، ولا أن تعرض بإنسان آخر يعطي القليل، ولكن تريد أن تقرر في ذهن السامع وتحقق أنه يفعل إعطاء الجزيل. فتقديم المسند إليه «هو» وتكريره في الضمير المستتر في «يعطي» أدى إلى تقوية الحكم وتقريره.
6. **التخصيص:** وهذا يعني أن المسند إليه قد يقدم ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي بشرط أن يكون مسبوقا بحرف نفي نحو: ما أنا قلت هذا، أي: لم أقله ولكنه مقول غيري. فأنت في هذا المثال تنفي وقوع المقول منك، ولكنك لا تنفي وقوعه من غيرك. ولهذا لا يصح: ما أنا قلت هذا ولا غيري. فتقديم المسند إليه «أنا» أفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك، ومن ذلك قول الشاعر:

ومن هذا القبيل قوله تعالى في خمر أهل الجنة: ﴿لا فِيها غَوْلٌ﴾، فالغول مقصور على اتصافه بعدم حصوله في خمر الجنة ولكنه يوجد في خمور الدنيا. فتقديم المسند «فيها» يقتضي تفضيل المنفي عنه وهو خمر الجنة على غيرها من خمور الدنيا، أي ليس فيها ما في غيرها من الغول الذي يغتال العقول ويسبب دوار الرأس وثقل الأعضاء.

7. **التنبيه على أن المتقدم خبر لا نعت:** وذلك خاص بتقديم الخبر المسند على المبتدأ المسند إليه، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إِلى حِينٍ﴾ فالشاهد هنا هو في قوله: «ولكم مستقر» فلو قال «ومستقر لكم» لتوهم ابتداء أن «لكم» نعت وأن خبر

المبتدأ سيذكر فيما بعد، وذلك لأن حاجة النكرة إلى النعت أشد من حاجتها إلى الخبر. ولذلك تعين تقديم المسند للتنبيه على أنه خبر لا نعت.

تقديم متعلقات الفعل عليه:

- **فمن تقديم المفعول على الفعل:** قولك: «محمدا أكرمت» والأصل «أكرمت محمدا»، فإن في قولك بالتقديم «محمدا أكرمت» تخصيصا لمحمد بالكرم دون غيره، وذلك بخلاف قولك «أكرمت محمدا»، لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في إيقاع الكرم على أي مفعول شئت، بأن تقول:

أكرمت خالدا أو عليا أو غيرهما، فتقديم المفعول على الفعل هنا قصد به اختصاصه به، أي اختصاص محمد دون غيره بالإكرام.

- **ومن تقديم الجار والمجرور على الفعل:** قوله تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فإن تقديم الجار والمجرور دل على أن مرجع الأمور ليس إلا لله وحده، على حين لو وردت الآية من غير تقديم وقيل: «ترجع الأمور إلى الله» لاحتمل إيقاع مرجع الأمور إلى غير الله وهذا محال.

- **ومن تقديم الحال على الفعل:** كقولك: «مبكرا خرجت إلى عملي»، تخصيصا لحالة التبكير بالخروج دون غيرها من الحالات، وذلك بخلاف قولك: «خرجت إلى عملي مبكرا» لأنك في تقديمك الفعل تكون بالخيار في إيقاعه مقيدا بأي حالة شئت، بأن تقول: خرجت إلى عملي متأخرا أو مسرعا أو مسرورا أو غير ذلك. وكذلك يجري الأمر في بقية متعلقات الفعل.

وقد يكون التقديم لغرض البلاغي مراعاة لنظم الكلام أيضا، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ويرى الزمخشري أن التقديم في هذا الموضوع قصد به الاختصاص، ولكن ابن الأثير يرى أن المفعول لم يقدم على الفعل للاختصاص وإنما قدم لمكان نظم الكلام، لأنه لو قال: «نعبدك ونستعينك» لم يكن له ما لقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، فجاء بعد ذلك قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وذلك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون. ولو قال: «نعبدك ونستعينك» لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن، وهذا غير خاف على أحد من الناس فضلا عن أرباب علم البيان.

الفصل والوصل

من أسرار البلاغة العلم بمواطن الوصل والفصل في الكلام، أو بعبارة أخرى العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها، والإتيان بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد الأخرى.

وإدراك مواطن الوصل والفصل في الكلام لا تتأتى إلا للعرب الخلّص لأن اللغة لغتهم وهم ينطقون بها عن سليقة، كما لا تتأتى إلا لمن طبعوا على البلاغة وأوتوا حظا من المعرفة في ذوق الكلام.

وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: «البلاغة معرفة الفصل من الوصل»، وذلك لغموض هذا الباب ودقة مسلكه، ولأن من يكمل له إحراز الفضيلة فيه يكمل له إحراز سائر معاني البلاغة.

«**الوصل**» عطف جملة على أخرى «بالواو» فقط دون سائر حروف العطف الأخرى، كقول المتنبي:

أعزّ مكان في الدّنا سرج سابح * وخير جليس في الزمان كتاب**[1]

و«**الفصل**» ترك هذا العطف، كقول الشاعر:

عادة الأيام لا أنكرها * فرح تقرنه لي بترح**

وقد قصر علماء المعاني عنايتهم في هذا الباب على البحث في عطف الجمل «بالواو» دون بقية حروف العطف، لأن «الواو» هي الأداة التي تخفى الحاجة إليها ويتطلب فهم العطف بها دقة في الإدراك.

وسبب ذلك أنها لا تدل إلا على مطلق الجمع والاشتراك، أما غيرها من أحرف العطف فتفيد مع الاشتراك معاني زائدة كالترتيب مع التعقيب في الفاء، والترتيب مع التراخي في «ثم» وهلم جرا.

مواضع الفصل: يجب الفصل في ثلاثة مواضع:

1. أن يكون بين الجملتين اتحاد تام، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيدا للأولى، أو بيانا لها، أو بدلا منها. ويقال حينئذ إن بين الجملتين «**كمال الاتصال**».

أ- فمن أمثلة الفصل الذي **تكون فيه الجملة الثانية توكيدا للجملة الأولى** قول الشاعر:

[1] الدنا: جمع دنيا، والسابح: الفرس السريع الجري، يقول: سرج الفرس أعز مكان لأن صاحبه يجاهد عليه في طلب المعالي، والكتاب خير جليس لأنه مأمون الأذى.

يهوى الثناء مبرّز ومقصر * حب الثناء طبيعة الإنسان**

فالبيت هنا يشتمل على جملتين، وإذا تأملناهما وجدنا بينهما اتحادا تاما في المعنى، فالجملة الثانية وهي «حب الثناء طبيعة الإنسان». لم تجئ إلا توكيدا للأولى وهي جملة «يهوى الثناء مبرز ومقصر»، فإن معنى الجملتين واحد.

ب- ومن أمثلة الفصل الذي **تكون فيه الجملة الثانية بيانا للجملة الأولى** قول الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم**

فإذا تأملنا جملتي هذا البيت وجدنا بينهما اتحادا تاما في المعنى، فالجملة الثانية وهي «بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم» لم تأت إلا لإيضاح إبهام الأولى وهي «الناس للناس من بدو وحاضرة» فهي بيان لها.

ج- ومن أمثلة الفصل الذي **تكون فيه الجملة الثانية بدلا من الجملة الأولى** قوله تعالى:

﴿أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ. أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾.

فالتأمل في الآية الكريمة يظهر أن بين جملة أَمَدَّكُمْ بِما تَعْلَمُونَ وجملة أَمَدَّكُمْ بِأَنْعامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ كمال الاتصال، ذلك لأن الجملة الثانية بدل بعض من كل من الجملة الأولى، إذ الأنعام والبنون والجنات والعيون بعض ما يعلمون.

2 - والموضع الثاني من المواضع التي يجب فيها الفصل بين الجمل أن يكون بين الجملتين «تباين تام»، وذلك بأن تختلفا خبرا وإنشاء، أو بألا تكون بينهما مناسبة ما، ويقال حينئذ إن بين الجملتين «**كمال الانقطاع**».

أ- فمن الأمثلة التي يجب فيها **الفصل بين الجملتين لاختلافهما خبرا و إنشاء** قول الشاعر:

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا**

فبين الجملة الثانية والأولى في هذا البيت تمام التباين وغاية الابتعاد، لاختلافهما خبرا وإنشاء، وذلك لأن الجملة الأولى إنشائية والثانية خبرية، ومن أجل ذلك تعين الفصل بينهما.

ب- ومن الأمثلة التي يجب فيها **الفصل بين الجملتين لعدم وجود مناسبة بينهما** قول القائل: «كفى بالشيب داء صلاح الإنسان حفظ الوداد» «**السماء ممطرة عليّ يغدو إلى عمله مبكرا**»، وكقول الشاعر:

وإنما المرء بأصغريه * كل امرئ رهن بما لديه**[1]

1 الأصغران: القلب واللسان، ورهن بما لديه: يجازى بما عمل.

فبين الجملة الثانية هنا والجملة الأولى تمام التباين ومنتهى الابتعاد، لأنه لا مناسبة بينهما مطلقا، إذ لا رابطة في المعنى بين قوله: «وإنما المرء بأصغريه» وقوله: «كل امرئ رهن بما لديه» ففي جميع هذه الأمثلة والأمثلة التي تختلف فيها الجملتان خبرا وإنشاء نجد الجملة الثانية مفصولة عن الجملة الأولى، ولا سر لذلك إلا كمال التباين

وشدة التباعد، ولذلك يقال في هذا الموضع من مواضع الفصل إن بين الجملتين «**كمال الانقطاع**».

3. والموضع الثالث من المواضع التي **يجب فيها الفصل بين الجملتين هو أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الأولى**، ويقال حينئذ إن بين الجملتين «**شبه كمال الاتصال**».

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قالُوا لا تَخَفْ﴾[1]، ففي هذه الآية الكريمة فصلت جملة قالُوا لا تَخَفْ عن جملة وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً لأن بينهما شبه كمال الاتصال، إذ الثانية جواب لسؤال يفهم من الأولى، كأن سائلا سأل: فماذا قالوا له حين رأوه قد أحس منهم خوفا؟ فأجيب «قالوا لا تخف».

ومن أمثلة هذا النوع من الفصل أيضا قول الشاعر:

يقولون إني أحمل الضيم عندهم * أعوذ بربي أن يضام نظيري**[2]

فبين جملة «أعوذ بربي أن يضام نظيري» وجملة «يقولون إني أحمل الضيم عندهم» شبه كمال الاتصال، لأن الثانية جواب عن سؤال نشأ من الأولى، فكأن الشاعر بعد أن أتى بالشطر الأولى من البيت أحس أن سائلا يقول له: «وهل ما يقولونه من أنك تتحمل الضيم صحيح؟» فأجاب بالشطر الثاني.

ففي هذين المثالين نرى أن الجملة الثانية في كليهما مفصولة من الأولى، ولا سبب لهذا الفصل إلا قوة الرابطة المعنوية بين الجملتين، فإن الجواب شديد الارتباط بالسؤال، فأشبهت الحال هنا من بعض الوجوه حال «كمال الاتصال» السابقة الذكر. ومن أجل ذلك يقال إن بين الجملتين «**شبه كمال الاتصال**».

مواضع الوصل: ويجب الوصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع أيضا:

---

1 أوجس منهم خيفة: أحس منهم خوفا.

2 الضيم: الذل، وضامه يضيمه بفتح ياء المضارعة: أذله يذله.

أ- **إذا أريد إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي**، فإذا كان للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد تشريك الثانية لها في هذا الحكم فإنه يتعين عطف الثانية على الأولى بالواو، تماما كما يعطف مفرد على مفرد بالواو لاشتراكهما في حكم إعرابي واحد.

أنت أيقظتني وأطلعت عيني * على عالم من السر أخفى**

في البيت الأول الجملتين «أيقظتني» و«أطلعت عيني على عالم من السر أخفى» تجد أن للجملة الأولى موضعا من الإعراب لأنها خبر للمبتدأ قبلها، وأن الشاعر أراد إشراك الثانية لها في هذا الحكم الإعرابي، أي أراد أن تكون خبرا ثانيا للمبتدأ، ولهذا تعين عطف الثانية على الأولى بواو العطف.

وما زلت مذ كنت تولي الجميل * وتحمي الحريم وترعى النسب**

وإذا تأملت الجملتين «تولي الجميل» و«تحمي الحريم» في البيت الثاني وجدت أن للأولى موضعا من الإعراب، لأنها خبر للفعل الناسخ «ما زال» وأن الشاعر أراد هنا أيضا إشراك الثانية وهي «تحمي الحريم» للأولى في حكمها الإعرابي، أي أراد أن تكون خبرا ثانيا للفعل «ما زال»، ومن أجل ذلك تعين وصل الجملة الثانية بالأولى بواو العطف.

ب- **ويجب الوصل بين الجملتين إذا اتفقتا خبرا أو إنشاء، وكانت بينهما جهة جامعة، أي مناسبة تامة، ولم يكن هناك سبب يقتضي الفصل بينهما.**

1 - **قال تعالى:** ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾.

2 - **ديارهمو انتزعناها انتزاعا *** وأرضهمو اغتصبناها اغتصابا**

3 - **وما كل فعّال يجازى بفعله *** ولا كل قوّال لديّ يجاب**

4 - **فلا تترك الأعداء حولي ليفرحوا *** ولا تقطع التِّسْآل عني وتقعد**

5 - **فليتك تحلو والحياة مريرة *** وليتك ترضى والأنام غضاب**

ففي الأمثلة الثلاثة الأولى هنا اشتمل كل مثال منها على جملتين متحدتين خبرا متناسبتين في المعنى وليس هناك من سبب يقتضي الفصل، ولذلك عطفت الجملة الثانية على الأولى في كل منها بواو العطف.

وفي الأمثلة الأخيرة اشتمل كل واحد منها على جملتين متحدتين إنشاء متناسبتين معنى، وليس هناك من سبب أيضا يقتضي الفصل، ولذلك عطفت الثانية على الأولى.

وهكذا يجب الوصل بين كل جملتين اتحدتا خبرا أو إنشاء، وتناسبتا في المعنى، ولم يكن هناك مانع من العطف.

ج- **ويجب الوصل بين الجملتين إذا اختلفتا خبرا و إنشاء وأوهم الفصل خلاف المقصود.**

وتتمثل شواهد هذا النوع من الوصل في الإجابة بالنفي على سؤال أداته «هل» أو «همزة التصديق» مع التعقيب على جملة الجواب المنفي بجملة دعائية، ومن أمثلة ذلك:

1 – لا ولطف الله به. تقول ذلك في جواب من سألك: هل تحسنت صحة صديقك؟

2 – لا وحفظك الله. تقول ذلك في جواب من سألك: ألك حاجة أقضيها لك؟

ف «لا» في هذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية تقديرها في المثال الأولى «لم تتحسن صحته» وتقديرها في المثال الثاني «لا حاجة لي»، وكل من جملتي «لطف الله به» و«حفظك الله» جملة دعائية إنشائية، وقد كان الأمر يقتضي هنا الفصل بين الجملتين لاختلافهما خبرا وإنشاء، فيقال في المثال الأول «لا لطف الله به» وفي الثاني «لا حفظك الله». ولكن الفصل على هذه الصورة يجعل السامع يتوهم أنك تدعو عليه في حين أنك تقصد الدعاء له. ولذلك وجب العدول هنا عن الفصل إلى الوصل. وكذلك الحال في كل جملتين اختلفتا خبرا وإنشاء وكان العطف بينهما يوهم خلاف المقصود.

علم البيان

تعريف البيان:

لغة: جاء في اللسان: «البيان: ما بيّن به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بيانا: اتّضح، فهو بيّن ... والبيان: الفصاحة واللّسن، وكلام بيّن فصيح، والبيان: الإفصاح مع ذكاء، والبيّن من الرّجال السّمح اللّسان الفصيح الظريف العالي الكلام القليل الرّتج»

اصطلاحا: علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة» وكأنه يريد القول: إيراد المعنى مرّة بطريق التشبيه، وإيراده ثانية من طريق المجاز، وثالثة من طريق الكناية، وهكذا.

مقدمة:

المجاز طريق من طرق الإبداع البياني في كل اللغات، تدفع إليه الفطرة الإنسانية المزودة بالقدرة على البيان، واستخدام الحيل المختلفة للتعبير عما في النفس من معان تريد التعبير عنها.

وقد استخدمه العربي في العصور المختلفة، في الحضر والبادية، استخداما بارعا، حتى بلغت اللغة العربية في مجازاتها مبلغا يثير الإعجاب بعبقرية العربي، وكان للشعراء والبلغاء، أساليب عجيبة من المجاز، لا يدركها إلا الأذكياء والفطناء، المتمرسون بأساليب التعبير غير المباشر عن أغراضهم[1].

وليس اللجوء إلى المجاز لمجرد التلاعب بالكلام والعدول عن المعاني الحقيقية للكلمات والعبارات إلى معان أخرى، ولكن لابد من ضرورة تُلجِئ الأديب إلى ذلك، حين يكون التعبير بالحقيقة غير مُجْدٍ، ولا يحقق الغاية المنشودة، فضلا على أن للمجاز روابط وعلاقات فكرية تربط بين المدلول الحقيقي للفظ والمعنى المجازي، يتنبه إليه المتلقي ويفهمه بالقرينة اللفظية أو الحالية، أو الفكرية.

دواعي المجاز وأغراضه: يمكن ذكر أهمها فيما يلي:

أولا: أن المجاز في الكلام هو من أساليب التعبير غير المباشر، الذي يكون في معظم الأحيان أوقع في النفوس وأكثر تأثيرا من التعبير المباشر.

1 البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، ج2 ص225

ثانيا: يشتمل المجاز غالبا على مبالغة في التعبير لا توجد في الحقيقة، والمبالغة ذات دواعي بلاغية متعددة، منها: "التأكيد – التوضيح – الإمتاع بالجمال – الترغيب عن طريق التزيين والتحسين – التنفير عن طريق التشويه والتقبيح –"إلى غير ذلك.

ثالثا: يتيح استخدام المجاز فرصا كثيرة لابتكار صورة جمالية بيانية لا يتيحها استعمال الحقيقة، فمعظم أمثلة التصوير الفني الرائع مشحونة بالمجاز.

رابعا: استخدام المجاز يمكن المتكلم من بالغ الإيجاز مع الوفاء بالمراد ووفرة إضافية من المعاني والصور البديعة.

خامسا: المجاز بالاستعارة أبلغ من التشبيه، فما سبق بيانه في دواعي التشبيه وأغراضه موجود في الاستعارة مع أمور أخرى لا توجد في التشبيه.

سادسا: المجاز المرسل أبلغ من استعمال الحقيقة في كثير من الأحيان إذا كان حال متلقي البيان ممن يلائمهم استخدام المجاز، ويشد انتباههم لتدبر المضمون وفهمه[1].

الحقيقة والمجاز:

الإسناد الذي هو أساس الجملة يقسم إلى قسمين: إسناد حقيقي وإسناد مجازي.

فالإسناد الحقيقي هو إسناد الفعل إلى فاعله الحقيقي.

الإسناد المجازي وهو أن يسند الفعل إلى غير ما يعتقد أنه هو له في الواقع ملاحظا علاقة ما أو ملابسة ما تسمح له بأن يسند هذا الإسناد، دون أن يتهمه أحد بالكذب[2].

1. الحقيقة: « اللفظ المستعمل فيما وضع له في اصطلاح التخاطب».

مثل: لفظ "الأسد" حينما يستعمل للدلالة على الحيوان المفترس المعروف بأنه ملك الوحوش[3]، وتنقسم إلى حقيقة عقلية وحقيقة لغوية.

أ. الحقيقة العقلية: إسناد الفعل أو ما في معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر[4]، ويمكن تصنيفها إلى أربعة أصناف.

أقسام الحقيقة العقلية: تنقسم الحقيقة العقلية إلى أربعة أقسام[5]:

---

[1] البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، ج2 ص227-228

[2] البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، ج1 ص195

3 البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، ج2 ص128

4 الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ج4 ص40

5 المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج4 ص42-44

الأول: ما طابق الواقع والاعتقاد، كقول المؤمن: "أنبت الله الزرع" إذا كان المخاطب يعلم أن المتكلم مؤمن، ينسب الآثار كلها لله، أو كان يجهل حاله، إذ المفهوم من ظاهر حال المتكلم أنه مؤمن، وأن الإسناد إلى ما بني الفعل له في يقينه واعتقاده.

الثاني: ما طابق الواقع فقط، كقول الكافر وهو يخفي حاله عن المخاطب: "شفى الله المريض" فالظاهر من حال المتكلم أنه مؤمن يعتقد ما يقوله، إذ إنه لم ينصب قرينة على أنه كافر، بل ستر حاله وأخفاها.

الثالث: ما طابق الاعتقاد فقط، كقول الكافر: "أنبت الغيث الشجر" إذا كان المخاطب يعلم أن المتكلم كافر، يضيف الإنبات إلى الغيث، أو كان يجهل حاله، إذ المفهوم من ظاهر حاله حينئذ أنه كافر يعتقد ما يقول، وأن الإسناد إلى ما بني الفعل له في اعتقاده.

الرابع: ما لم يطابق الواقع، ولا الاعتقاد، كقولك كذبًا: "زارني محمد" وأنت وحدك، دون المخاطب تعلم أنه لم يزرك، فالمفهوم من ظاهر حالك حينئذ أنك صادق فيما تقول، وأن الإسناد إلى ما بني الفعل له في اعتقادك.

فكل هذه الأقسام الأربعة من قبيل الحقيقة العقلية؛ لأن الفعل أسند في جميعها إلى ما حقه أن يسند إليه عند المتكلم في ظاهر حاله.

وإن كانت الحقيقة في ذات اللفظ سميت "حقيقة لغوية" نسبة إلى اللغة، كلفظ "أسد" المستعمل في الحيوان المفترس في قولك: "رأيت أسدًا في غابة" فلفظ "أسد" لم يتصرف فيه بشيء، بل استعمل في معناه الأصلي.

الحقيقة اللغوية[1]: **هي الكلمة المستعملة في المعنى الذي وضعت له**، وتسمى بأسماء تختلف باختلاف الواضع.

1. فإن كان الواضع من أرباب اللغة الفصحاء، سميت "**حقيقة لغوية**" فقط، كلفظ "**الأسد**" المستعمل في المعنى الذي وضعه له أهل اللغة "وهو الحيوان المفترس".
2. وإن كان الواضع من أهل الشرع، سميت "**حقيقة لغوية شرعية**" كلفظ "**الصلاة**"، المستعمل في المعنى الذي وضعه له أهل اللغة الشرعيون "وهو الأفعال والأقوال الخاصة".
3. وإن كان الواضع طائفة خاصة "كالنحاة" مثلًا، سميت "**حقيقة لغوية اصطلاحية**"، كلفظ

1 الحقيقة اللغوية والمجاز اللغوي لا يحتاجان إلى تقيدهما باللغويين، إلا في مقام المقارنة بينهما وبين الحقيقة العقلية، والمجاز العقلي، للتفرقة بينهم.

"الفاعل" المستعمل في المعنى الذي وضعه له علماء اللغة النحاة، وهو الاسم المرفوع بعد فعل مبني للمعلوم أو شبهه.

4. وإن كان الواضع غير طائفة بعينها، سميت "حقيقة لغوية عرفية" كلفظ "دابة" المستعمل في المعنى الذي تواضع عليه الناس وتعارفوه, وهو ذات الأربع من الدواب كالحمار، والفرس[1].

2. المجاز: هو «**استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي**».

رد ابن قتيبة على من أنكروا المجاز وزعموا أنّ الكلام كله حقيقة ولا مجاز فيه، فقال: «لو كان المجاز كذبا لكان أكثر كلامنا باطلا، لأنّا نقول: نبت البقل، وطالت الشجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل ورخص السعر...[2].

وعند ابن رشيق القيرواني (ت 456 هـ): «أنّ المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعا في القلوب والأسماع، لاحتماله وجوه التأويل، فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز، إلّا أنّهم خصوا بالمجاز، بابا بعينه[3]، وذلك أن يسمّى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب، كما قال جرير بن عطية:

إذا سقط السَّمَاءُ بِأرضِ قَوْمٍ * رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابًا**

أراد **المطر** لقربه من **السماء**، ويجوز أن تريد «بالسماء» **السحاب**، لأنّ كل ما أظلّك سماء، وقال «سقط» يريد سقوط المطر الذي فيه، وقال «رعيناه»[4] والمطر لا يرعى، ولكنه أراد «النبت» الذي يكون عنه فهذا كله مجاز»[5].

وأشار كذلك إلى ولع العرب بالمجاز فقال: «والعرب كثيرا ما تستعمل المجاز، وتعده من مفاخر كلامها، فإنّه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة، وبه بانت لغتها عن سائر اللغات»[6].

---

1 المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ج1 ص98

2 العمدة لابن رشيق، ج1 ص236

3 يقصد المجاز المرسل وهو قسم من أقسام المجاز اللغوي.

4 هي القرينة التي تصرف إرادة المعنى الحقيقي للجملة، أي إرادة سقوط السماء، بل المراد سقوط شيء من السماء وهو المطر.

5 العمدة لابن رشيق ج1 ص236.

6 العمدة لابن رشيق ج1 ص236.

بين الحقيقة اللغوية والمجاز: الحقيقة هي حقيقة الألفاظ في دلالتها على المعاني، وليست بالحقيقة التي هي ذات الشيء، أي نفسه وعينه، فالحقيقة اللفظية إذن هي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة، والمجاز هو نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيره، كنقل الكرم والجود من لفظ الكريم الجواد إلى لفظ البحر.

فالاسم الموضوع بإزاء المسمى هو حقيقة له، فإذا نقل إلى غيره صار مجازا.

ومثال ذلك أنا إذا قلنا «بحر» أردنا به هذا الماء العظيم المجتمع الذي طعمه ملح، وهذا الاسم له حقيقة لأنّه وضع بإزائه، وكذلك إذا قلنا «شمس» أردنا به هذا الكوكب العظيم الكثير الضوء، وهذا الاسم له حقيقة لأنّه وضع بإزائه.

فإذا نقلنا «الشمس» إلى الوجه المليح استعارة كان ذلك له مجازا لا حقيقة، وكذلك إذا نقلنا «البحر» إلى الرجل الكريم الجواد استعارة كان ذلك له مجازا لا حقيقة»[1]، وبهذا يرى ابن الأثير أنّ لفظ «الشمس» له دلالتان، إحداهما حقيقية وهي هذا الكوكب العظيم الكثير الضوء، ولا يمكن أن يقال إنّ هاتين الدلالتين سواء، وإنّ الشمس حقيقية في الكواكب والوجه المليح.

والمرجع في هذا وما يجري مجراه إلى أصل اللغة التي هي وضع الأسماء على المسميات، ولم يوجد فيها أنّ الوجه المليح يسمى شمسا، وإنما أهل الخطابة والشعر هم الذين توسعوا في الأساليب المعنوية فنقلوا الحقيقة إلى المجاز، ولم يكن ذلك من واضع اللغة في أصل الوضع، ولهذا اختص كل منهم بشيء اخترعه في التوسعات المجازية.

إنّ المجاز أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصاحة والبلاغة، لأنّه قد ثبت وتحقق أنّ فائدة الكلام الخطابي هي إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصور حتى يكاد ينظر إليه عيانا.

ألا ترى أنّ حقيقة قولنا: «زيد أسد» هي قولنا: «زيد شجاع»، لكنّ هناك فرقا بين القولين في التصوير والتخييل وإثبات الغرض المقصود في نفس السامع، لأنّ قولنا: «زيد شجاع» لا يتخيل منه السامع سوى رجل جريء مقدام، فإذا قلنا: «زيد أسد» يخيل عند ذلك صورة الأسد وهيئته وما عنده من البطش والقوة ودق الفرائس، وهذا لا نزاع فيه»[2].

---

1 كتاب المثل السائر ص 24

2 المثل السائر ص 25 - 26

أقسام المجاز: يقسم علماء البلاغة المجاز إلى قسمين:

1. المجاز العقلي: ويكون في الإسناد، أي في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له، ولا يكون إلّا في التركيب[1].

2. المجاز اللغوي: ويكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينها صلة ومناسبة، وهذا المجاز يكون في المفرد، كما يكون في التركيب المستعمل في غير ما وضع له، وهذا المجاز نوعان:

أ- الاستعارة: وهي مجاز لغويّ تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة.

ب- المجاز المرسل: وهو مجاز تكون العلاقة فيه غير المشابهة، وسمّي مرسلا لأنّه لم يقيّد بعلاقة المشابهة، أو لأنّ له علاقات شتى.

بين المجاز العقلي والمجاز اللغوي: التحقيق أن المجاز العقلي لا يكون فيه نقل في استعمال الألفاظ من الحقيقة إلى المجاز، فكل الألفاظ فيه تدل على المعنى الأصلي الذي وضعت له، لكنها تحتاج إلى عمل فكري أو شعور نفسي بحت، بخلاف المجاز اللغوي فإن فيه هذا النقل من الحقيقة إلى المجاز مع التدبر والتفكر في بيان هذا التحول.

وكذلك المتأمل في تركيب المجاز العقلي يرى أن ألفاظه كلها قيد بقيت على دلالتها الأصلية، وليس فيها دلالة على المجاز، لكن المجاز يكمن في علاقة المسند بالمسند إليه، أما في المجاز اللغوي فإننا نكتشف المجاز في تأملنا لبعض ألفاظه التي نقلت عن دلالتها الأصلية الحقيقية إلى دلالة مجازية.

1 علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص143

أنواع المجاز

أولا. المجاز العقلي

تعريف: المجاز العقلي أن تسند اللفظ إلى غير ما حقه أن يسند إليه، وسمي مجازًا عقليًّا أو "إسنادًا مجازيًّا" كإسناد "أنضج" في المثال «**أنضج الربيع الثمر**» إلى "الربيع" في قول المؤمن لمخاطب يعلم إيمانه: أنضج الربيع الثمر، والأصل: **أنضج الله الثمر وقت الربيع**، "فالله" هو المسند إليه الحقيقي "لأنضج" وقد تصرف في "أنضج" بإسناده إلى غير ما حقه أن يسند إليه وهو "الربيع" فالربيع إذًا مسند إليه مجازي، ولا بد لذلك من علاقة بين المسند إليه الحقيقي والمجازي، كما لا بد من قرينة دالة على التجوز، ويقصد به المجاز الذي لا يكون في ذات الكلمة ونفس اللفظ.

أحوال المسند في الجملة المشتملة على مجاز عقلي[1]:

المسند في الجملة المشتملة على مجاز عقلي قد يكون واحدا مما يلي:

فعلا ماضيا: مثل: "بنى الأمير المدينة".

فعلا مضارعا: مثل: يبني الأمير المدينة"

فعل أمر: مثل قوله تعالى: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾.

* وقد يكون غير فعل، لكنه في معنى الفعل، وهو ستة أنواع، هي:

1. المصدر: "دوام الدولة عَدْلُهَا"، أسند العَدْلُ وهو مصدر "عَدَلَ" إلى غير ما هو له، وهو دوام الدولة، فالعدل ليس هو دوام الدولة، لكنه سبب في دوامها.

2. اسم الفاعل، كقوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ إسناد الرضا في كلمة "راضية" إلى العيشة، مع أن الراضي هو صاحب العيشة، ومثله: "طريق سائر" و"نهر جار".

3. اسم المفعول، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾، إسناد المشهودية لليوم، مع أن اليوم اسم لزمن، وهو لا يدرك بالحواس، لكن الذي يشهد ويدرك بالحواس هو ما يحصل في اليوم من أشياء وأحداث ترى أو تسمع أو تلمس، ومثله: بيت مهجور.

1 البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، ج1 ص196-201

4. الصفة المشبهة: "فلان رداؤه شريف، وإزاره عفيف"، إسناد الشرف إلى الرداء، والمراد أنه شريف الحسب والنسب، وإسناد العفة إلى الإزار، والمراد أنه ذو عفة.

5. اسم التفضيل: " دار محمد أكثر ترحيبا بالضيوف من دار خالدو، سيفه أشجع من سيفه".

6. الظرف والجار والمجرور: "الشجاع حين المبارزة، وعند اللقاء، وفي ساحة الوغى".

أمثلة أخرى:

- **نهارك صائم وليلك قائم**: ليس المجاز في نفس «صائم وقائم» ولكن في إجرائهما خبرين على «النهار والليل»، أسند فيهما اسم الفاعل إلى ضمير الظرف وهو "النهار" في المثال الأول و"الليل" في المثال الثاني إسنادًا مجازيًّا، من إسناد ما هو بمعنى الفاعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه، وفي قوله تعالى: ﴿**فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ**﴾ ليس المجاز في لفظة «ربحت» نفسها ولكن في إسنادها إلى «التجارة». فكل لفظة هنا أريد بها معناها الذي وضعت له على وجهه وحقيقته– فلم يرد بصائم غير الصوم، ولا بقائم غير القيام، ولا بربحت غير الربح[1].
- **جرى النهر**: برفع "النهر" على الفاعلية، وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقي الذي هو "الماء" فيقال: **جرى الماء في النهر**، لكنه أسند إلى الظرف الذي هو "النهر" أي: مجرى الماء إسنادًا مجازيًّا للمشابهة بين "النهر والماء" في تعلق الفعل بهما، فتعلقه بالماء من حيث صدوره منه، وتعلقه بالنهر من حيث وقوعه فيه، فالظرف حينئذ مسند إليه مجازي.
- **بنى الأمير القصر**: إسناد الفعل إلى السبب «الأمير» وكان حقه أن يسند إلى الفاعل الحقيقي الذي هو "العملة" إذ هم البانون حقيقة، فيقال: بنى العملة القصر بأمر الأمير، لكنه أسند إلى السبب الباعث الذي هو "الأمير" إسنادًا مجازيًّا للمشابهة بين "الأمير والعملة" في تعلق الفعل بهما، فتعلقه "بالأمير" من حيث إنه سبب في البناء، وتعلقه

[1] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 194

"بالعملة" من حيث صدوره منهم، فالأمير إذًا مسند إليه مجازي، ومنه قوله تعالى: ﴿**يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا**﴾ فقد أسند فيه الفعل إلى ضمير "هَامَانُ" إسنادًا مجازيًّا من إسناد الفعل إلى السبب وهكذا.

علاقة المجاز العقلي:

العلاقة السببية: ﴿يا هامانُ ابْنِ لِي صَرْحاً﴾ إسناد بناء الصرح إلى هامان وزير فرعون مجاز عقلي علاقته السببية، لأنّ هامان لم يبن الصرح بنفسه، وإنّما بناه عماله، ولكنه **كان سببا في بنائه**.

العلاقة الزمانية: «**نهار الزاهد صائم وليله قائم**»، كل من الوصفين «صائم وقائم» أسند إلى غير ما هو له، والذي سوغ ذلك الإسناد **أن المسند إليه زمان الفعل**. وعلى هذا فإسناد الصوم إلى ضمير النهار وإسناد القيام إلى ضمير الليل مجاز عقلي علاقته «الزمانية».

العلاقة المكانية: «يجري النهر»، في هذا المثال أسند الجري إلى النهر، أي إلى غير فاعله الحقيقي، لأن النهر مكان جري الماء، وهو لا يجري، وإنما يجري ما فيه وهو الماء، **فإسناد الجري إلى النهر إسناد إلى مكان الفعل** وهو مجازي غير حقيقي، وعلاقته «المكانية».

العلاقة المفعولية: «**كان المنزل عامرا، وكانت حجره «مضيئة**»، في هذا المثال المنزل لا يعمر غيره وإنما هو معمور بغيره، والحجرة ليست مضيئة لأن الإضاءة لا تقع منها في حقيقة الأمر وإنما تقع عليها، فهي لهذا مضاءة. وإذن ففي كل من «عامر» و«مضيئة» مجاز عقلي علاقته «المفعولية».

العلاقة الفاعلية: "**سيل مُفعَمُ**" بفتح العين، والسيل يفعم المكان أي يملؤه، والمكان هو الذي يفعم بفتح العين، وأصله أفعم السيل الوادي، أي ملأه. فالفاعل الحقيقي الذي أسند إليه الإفعام هو السيل. فلو أريد الإسناد الحقيقي لقيل: سيل مُفْعِمٌ بكسر العين.

ولكن الذي حدث أنه جيء بالمسند مبنيا للمفعول «مفعم» بفتح العين، ثم أسند إلى غير فاعله الحقيقي[1]، ومثله: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾، فقوله: مأتيا مبني للمفعول، ومسند إلى ضمير الوعد الذي هو فاعل في الحقيقة؛ لأن الوعد يأتي ولا يؤتى، ولكنهم تجوزوا وأسندوا اسم

1 علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص153

المفعول إلى ضمير الفاعل للملابسة بين الفاعل الذي هو الوعد، والمأتي الذي هو معنى الفعل، وتسمى هذه علاقة الفاعلية أي أن المرفوع باسم المفعول فاعل لهذا الحدث، وله دلالاته، وكأن الوعد يأتيه الناس الذين يسيرون إلى قدر الله فيهم[1].

العلاقة المصدرية: ﴿فَإِذا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ واحِدَةٌ﴾، فالفعل «نفخ» المبني للمجهول لم يسند إلى نائب فاعله الحقيقي وإنما أسند إلى مصدره «نفخة» أي أسند إلى غير ما هو له لعلاقة المصدرية، فهذا مجاز عقلي علاقته «المصدرية».

قرينة المجاز العقلي: هي الأمر الصارف عن أن يكون الإسناد على حقيقته؛ لأن المتبادر إلى الفهم عند انتفاء القرينة هو الحقيقة، بمعنى أن ظاهر الكلام بغض النظر عن القرينة يفيد أن الفعل، أو ما في معناه مسند إلى ما حقه أن يسند إليه، والقرينة نوعان: لفظية، ومعنوية:

القرينة اللفظية: هي لفظ يذكر في الكلام يصرفه عن حقيقته، ويدل على التجوز في الإسناد كما تقول: "**شيبت رأسي الهموم والأحزان، ولكن الله يفعل ما يشاء**" ففيه إسناد الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه؛ لأن الهموم لا تشيب الرأس، والذي سوغ إسناد الشيب إليها هو أنها سبب فيها، والقرينة الدالة على هذا التجوز قولك: "ولكن الله يفعل ما يشاء" إذ دل على أن المشيب هو الله وليست الهموم حقيقة.

ومثله قول الشاعر ينصح ابنه:

أشابَ الصغيرَ وأَفْنَى الكبيرَ * كَرُّ الغَدَاةِ وَمرُّ العَشِيِّ**

نـروح ونغـدو لحاجاتـنا * وحاجة من عاش لا تنقضي**

تـموت مع المـرء حـاجاتـه * وتبـقي لـه حاجـة ما بقي**

ألم ترَ لقمان أوصى ابـنه * وأوصيت عمرًا ونعم الوصي**

فمِـلتنا أننـا مسلمـــون * على ديـن صديقـنا والنبـي**

أسند الفعلين أشابَ وأفنى إلى كر الغداة ومرِّ العشي، في البيت الأول، فإذا وصلنا إلى البيت الأخير فإننا نجد القرينة التي تدل على مراد الشاعر وذلك في قوله: فمِلتنا أننا مسلمون، فقد أفصح عن دينه وأن ملته هي الإسلام؛ أي: أنها قرينة لفظية تدل على أن

1 خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط7، ص107

الشاعر لم ينسب الفعل إلى الزمن على الحقيقة، وإنما كان متجوِّزًا في الإسناد، وهو يعتقد أن الفعل لله وحده، وأن الذي يشيب ويفني هو الله جلت قدرته[1].

القرينة المعنوية: شيء خارج عن اللفظ، يصرف الكلام عن حقيقته، ويدل على التجوز في الإسناد، وذلك أحد أمرين:

الأول: أن يكون قيام المسند بالمسند إليه مستحيلا عقلا، أو عادة: فمثال المستحيل عقلًا قولهم: "**محبتك جاءت بي إليك**" فإسناد المجيء إلى ضمير المحبة مجاز عقلي أسند فيه الفعل إلى غير ما حقه أن يسند إليه، والذي سوغ هذا الإسناد أن المحبة سبب في المجيء، وقرينة المجاز استحالة قيام المجيء بالمحبة عقلًا. والمراد بالمستحيل عقلًا: ما كان مستحيلًا بالضرورة، وهو ما لو خلا العقل ونفسه لعده محالًا على البديهة كما في المثال المذكور. ومثله قولك: أقدمني بلدك، حق لي عليك. فالقرينة على التجوز في الإسناد استحالة قيام الإقدام بالحق عقلًا.

ومثال المستحيل عادة قولهم: "**هزم القائد الجيش**"، فإسناد هزيمة الجيش إلى القائد مجاز عقلي، قرينته استحالة أن يهزم القائد الجيش وحده في العادة، وإن أمكن ذلك عقلًا.

الثاني: أن يكون الكلام صادرًا عن الموحد كأن يقول المؤمن: قوست ظهري أحداث الزمان، وأشابت رأسي نوائبه، فهذان الإسنادان من قبيل المجاز العقلي، أسند فيهما الفعلان إلى غير ما حقهما أن يسندا إليه بناء على أن أحداث الزمان ونوائبه سبب في التقويس والتشييب، وقرينة التجوز فيهما صدور هذا القول من مؤمن يرى أن الله تعالى مصدر الأفعال كلها.

1 البلاغة 2 - المعاني، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص 128

على ضوء هذا الشرح نستطيع أن نستنبط القواعد التالية:

1. المجاز العقلي: هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي.

2. الإسناد المجازي: يكون إلى سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره، أو بإسناد المبني للفاعل إلى المفعول أو المبني للمفعول إلى الفاعل.

3. من القاعدة السابقة يتضح أنّ علاقات المجاز العقلي هي السببية أو الزمانية أو المكانية أو المصدرية أو المفعولية أو الفاعلية.

تطبيقات:

1. أعمير إنّ أباك غيّر رأسه *** مرّ الليالي واختلاف الأعصر
2. ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا *** ويأتيك بالأخبار من لم تزود
3. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً؟﴾
4. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾.
5. تكاد عطاياه يجنّ جنونها *** إذا لم يعوّذها برقية طالب

1. إذا تأملنا المثال الأول رأينا أنّ المجاز العقلي هو قول الشاعر: «غيّر رأسه مرّ الليالي»، ومعنى غير رأسه، أي لوّن شعر رأسه فحوله من السواد إلى البياض، وقد أسند تغيير لون الرأس إلى مرور الليالي وتواليها وهذا لا يشيب، وإنّما الشيب يحدث عادة من ضعف في أصول الشعر ومواطن غذائه. ولكن لما كان مر الليالي وتعاقبها سببا في هذا الضعف أسند تغيير لون الشعر إلى مر الليالي. ففي الإسناد مجاز عقلي علاقته السببية.
2. وإذا نظرنا إلى المثال الثاني وجدنا الفعل «ستبدي» أسند إلى «الأيام» أي أسند إلى غير فاعله الحقيقي. لأنّ فاعله الحقيقي هو «حوادث الأيام»، والذي سوغ هذا الإسناد أنّ المسند إليه «الأيام» زمان الفعل، فإسناد الإبداء إلى الأيام مجاز عقلي علاقته الزمانية.
3. وفي المثال الثالث يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً؟﴾ فالحرم لا يكون آمنا لأنّ الإحساس بالأمن صفة من صفات الأحياء وإنّما الحرم مأمون بمعنى

يؤمن، ولهذا أسند الوصف المبني للفاعل «آمن» إلى ضمير المفعول. وهذا مجاز عقلي علاقته «المفعولية».

4. وإذا تدبرنا المثال الرابع وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾، نجد أنّ كلمة «مأتيا» جاءت بدل كلمة «آت»، فاستعمل هنا اسم المفعول مكان اسم الفاعل، أو بعبارة أخرى أسند الوصف المبني للمفعول إلى الفاعل، وهذا مجاز عقلي علاقته «الفاعلية».

5. وفي المثال الخامس نجد أنّ المجاز العقلي هو في قول الشاعر «يجنّ جنونها» فالفعل «يجنّ» أسند إلى مصدره ولم يسند إلى فاعله، وإسناد الفعل إلى مصدره مجاز عقلي علاقته «المصدرية».

فمن معالجة هذه الأمثلة نرى أنّ أفعالا أو ما يشبهها لم تسند إلى فاعلها الحقيقي، بل أسندت إلى سبب الفعل أو زمانه أو مكانه، أو مصدره، وأنّ صفات كان من حقها أن تسند إلى المفعول أسندت إلى الفاعل، وأخرى كان يجب أن تسند إلى الفاعل أسندت إلى المفعول.

ثانيا. المجاز اللغوي

إن كان المجاز في ذات اللفظ بأن ينقل اللفظ من معناه الموضوع له إلى معنى آخر، فإما أن يكون هذا اللفظ مفردًا، أو مركبًا.

المجاز اللغوي: هو الكلمة المستعملة في غير المعنى الذي وضعت له لعلاقة بين المعنى الأول، والمعنى الثاني مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأول.

العلاقة في المجاز اللغوي: هي **المناسبة بين المعنى الموضوع له باللفظ، والمعنى المقصود**، وهي الأمر الذي يقع به الارتباط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي فيصح الانتقال من الأول إلى الثاني، وهذه العلاقة قد تكون:

المشابهة: في الاستعارة نحو: «**رأيت زهرة تحملها أمها**»، تريد: طفلة كالزهرة في نضارتها وجمالها.

غير المشابهة: كالجزئية في قوله تعالى: ﴿**وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ يريد: «وصلوا» لأن الركوع جزء من الصلاة، فأطلق الجزء وأراد به الكل مجازا.

القرينة في المجاز اللغوي: هي الأمر الذي يصرف الذهن عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، وتمنع إرادة المعنى الحقيقي للفظ، وهي إما قرينة عقلية أي حالية أو لفظية: مثال ذلك لفظ "الأسد" المستعمل في الرجل الجريء في قولك: «**رأيت أسدًا على فرس**»، وكلفظ "النبات" المستعمل في الماء في قولك: «**أمطرت السماء نباتًا**»، فكل من لفظي "الأسد والنبات" مجاز مفرد؛ والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي قولك في المثال الأول لفظية: "على فرس" إذ ليس ذلك من شأن الحيوان المفترس، والقرينة في الثاني معنوية: "أمطرت" إذ إن النبات لا يمطر.

تقسيم المجاز اللغوي: ينقسم المجاز باعتبار العلاقة إلى قسمين: **المجاز المرسل والاستعارة.**

أولا. المجاز المرسل: هو الكلمة المستعملة في غير المعنى الذي وضعت له لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوعة له، كما في قولنا: «**رعت الإبل الغيث**» ففي "الغيث" مجاز مرسل؛ لأنه كلمة نقلت من معناها الأصلي وهو "الماء" إلى معنى آخر وهو "النبات" بقرينة "الرعي" فإن الغيث لا يرعى، وليست العلاقة بين النبات والماء المشابهة، إنما العلاقة

بينهما هي: أن أحدهما سبب في الآخر، ولا شك أن الغيث سبب في النبات، وكفى هذه السببية علاقة تصحح استعمال الغيث في النبات.

وقد سماه البلاغيون «مجازا مرسلا» **لإرساله عن التقييد بعلاقة واحدة وهي المشابهة، وأن له علاقات متعددة.**

علاقات المجاز المرسل: للمجاز المرسل علاقات عدة، أشهرها وأكثرها استعمالًا ما يلي:

1. السببية: هي **أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور سببًا في المعنى المراد** كما في: «**رعت الإبل الغيث**» أي: النبات، ففي "الغيث" مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأن المعنى الأصلي للغيث (المطر) سبب في المعنى المراد الذي هو "النبات"، والقرينة قوله: "رعت" إذ إن الغيث لا يرعى.

2. المسببية: هي **أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور سببًا عن المعنى المراد**، كقولك: «**أمطرت السماء نباتًا**» أي: ماء "فالنبات" مجاز مرسل علاقته المسببية؛ لأن المعنى الأصلي "للنبات" مسبب عن المعنى المراد الذي هو "الماء"، والقرينة قوله: "أمطرت" إذ إن النبات لا يمطر.

ومن هذا النوع من المجاز قوله تعالى: ﴿**وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ رِزْقاً**﴾، فالمجاز هنا هو في كلمة «رزقا»، والرزق لا ينزل من السماء، ولكن الذي ينزل منها مطر ينشأ عنه النبات الذي منه طعامنا ورزقنا، فالرزق مسبب عن المطر.

3. الجزئية: هي **أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور جزءًا من المعنى المراد**، كقوله تعالى: ﴿**فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ**﴾ أي: عبد مؤمن ففي «رَقَبَةٍ» مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأن المعنى الأصلي للرقبة جزء من العبد، والقرينة أن التحرير إنما يكون للذات كلها، لا لجزء منها؛ إذ إن العتق لا يتجزأ.

وكقولهم: «**نشر الملك عيونه**» أي: جواسيسه، وهم من يراقبون حركات العدو، ففي "العيون" مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأن المعنى الأصلي للعين جزء من الجاسوس، والقرينة استحالة نَشْر العيون وحدها.

وكقول معبد بن أوس المزني في ابن أخته:

أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ * فَلَمَّا اِشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي**
وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ القَوَافِي * فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هَجَانِي**

يريد: "فلما قال قصيدة" ففي لفظ "قافية" مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ لأن المعنى الأصلي للقافية جزء من القصيدة، والقرينة قوله: "هجاني" لأن الهجاء لا يتأتى من القافية وحدها.

4. الكلية: هي **أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور كلًّا متضمنًا للمعنى المراد**، كقوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ أي: أناملهم، ففي «أَصَابِعَهُمْ» مجاز مرسل علاقته الكلية؛ لأن المعنى الأصلي للأصابع كل الأنامل، متضمن لها، والقرينة استحالة وضع الإصبع كلها في الأذن عادة.

والغرض منه هنا هو المبالغة في الإصرار على عدم سماع الحق بدليل وضع أصابعهم في آذانهم.

الفرق بين الجزئية والكلية، أن في الجزئية يطلق الجزء ويراد الكل، وفي الكلية يطلق الكل ويراد الجزء.

5. اعتبار ما كان: أي **تسمية الشيء باسم ما كان عليه**، نحو قوله تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾، أي الذين كانوا يتامى، وذلك أن اليتيم في اللغة هو الصغير الذي مات أبوه، والأمر الوارد في الآية الكريمة ليس المراد به إعطاء اليتامى الصغار أموال آبائهم، وإنما الواقع أن الله يأمر بإعطاء الأموال من وصلوا سن الرشد والبلوغ بعد أن كانوا يتامى، فكلمة «اليتامى» هنا مجاز مرسل استعملت وأريد بها الراشدون ممن كانوا يتامى.

ومنه قولك: «**من الناس من يأكل القمح ومنهم من يأكل الذرة والشعير**»، تريد بالقمح والذرة والشعير «الخبز» الذي كان في الأصل قمحا أو ذرة أو شعيرا.

6. اعتبار ما يكون: وهو **تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه**، نحو قوله تعالى على لسان أحد الفتيين اللذين دخلا السجن مع يوسف عليه السّلام: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾. فالمجاز هنا في كلمة «خمرا»، والخمر لا تعصر لأنها سائل، وإنما الذي يعصر هو «العنب» الذي يؤول ويتحول بالعصر إلى خمر، فإطلاق الخمر وإرادة العنب مجاز مرسل علاقته «اعتبار ما يكون».

ونحو قوله تعالى على لسان نوح عليه السّلام: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً. إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً﴾ ففي كلمتي «فاجرا وكفارا» مجازان، لأن المولود حينما يولد لا يكون فاجرا ولا كفارا، ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾.

7. المحلية: هي **أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور محلا للمعنى المراد**، أي **إذا ذكر لفظ المحلّ وأريد الحالّ فيه**، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: أهل النادي، ففي «نَادِيَهُ»، مجاز مرسل علاقته المحلية؛ لأن المعنى الأصلي للفظ "النادي" محل للمعنى المراد الذي هو الأهل، والقرينة استحالة دعاء النادي بمعناه الحقيقي.

وكقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ أي: أهل القرية "فالقرية" مجاز مرسل علاقته المحلية؛ لأن القرية بمعناها الحقيقي محل لساكنيها، والقرينة استحالة سؤال القرية بمعناها الأصلي.

ومنه قول الشاعر:

لاَ أَرْكَبُ البَحْرَ إِنّي * أَخَافُ مِنْهُ المَعَاطِبَ**
طِينٌ أَنَا وَهْوَ مَاءٌ * وَالطِّينُ فِي المَاءِ ذَائِبٌ**

فالمجاز في كلمة «البحر» حيث أراد بها الشاعر «السفن» التي تجري فيه، فالبحر هو محل جريان السفن، فإطلاق المحل «البحر» وإرادة الحال فيه «السفن» مجاز مرسل علاقته «المحلية». وفي كلمة «طين» في البيت الثاني مجاز مرسل علاقته «اعتبار ما كان».

8. الحالية: أن **يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور حالا في المعنى المراد، فقد ذكر لفظ الحالّ وأريد المحل لما بينهما من ملازمة**، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي: ففي جنة الله، فقوله: «فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ» مجاز مرسل علاقته الحالية؛ إذ أن رحمة الله بمعنى نعمه وآلائه حالة في جنته، والقرينة استحالة ظرفية الرحمة بمعناها الحقيقي.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ فالمجاز في كلمة «نعيم»، والنعيم لا يحل فيه الإنسان لأنه معنى من المعاني، وإنما يحل في مكانه.

9. الآلية: أن يكون المعنى الأصلي للفظ المذكور آلة، ووسيلة للمعنى المراد وذلك إذا ذكر اسم الآلة وأريد الأثر الذي ينتج عنها، نحو قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾. فالمجاز في كلمة «لسان»، والمراد واجعل لي قول صدق أي ذكرا حسنا، فأطلق اللسان الذي هو آلة القول على القول نفسه وهو الأثر الذي ينتج عنه.

فإطلاق «اللسان» آلة القول وأداته وإرادة الأثر الناتج عنه وهو «الكلام» مجاز مرسل علاقته «الآلية».

ونحو قوله تعالى أيضا: ﴿فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾، أي على مرأى منهم، والأعين هي آلة الرؤية، فالمجاز في كلمة «أعين» حيث أطلقت وأريد الأثر الناتج عنها وهو الرؤية. فهذا مجاز مرسل علاقته «الآلية».

1. وثمة علاقات أخرى ذكرها علماء البلاغة، مثل: **المجاورة، البدلية، المبدلية، العموم، الخصوص...**

ملاحظة: كل المجازات اللغوية سواء أكانت من قبيل الاستعارة أم المجاز المرسل، ليست مجرد حركة آلية لغوية يتم بها استعمال اللفظ في غير ما وضع له في اصطلاح به التخاطب.

بل لا بد في المجاز من عمل فكري أو شعور نفسي يصحح في تصور المتكلم استخدام اللفظ في غير ما وضع له.

ففي قول الله عز وجل: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ [البقرة: 19] فإننا لا نشعر بأن لفظ الأصابع وضع بدل الأنامل وضعا اعتباطيا في هذا المجاز المرسل، وليس مجرد حركة آلية لغوية، بل هو قائم على ملاحظة فكرية، وهي أن الذين يحذرون الموت من الصواعق ذوات الأصوات العظيمة القاتلة، تندفع أيديهم إلى سد آذانهم بأصابعهم، فلو تمكنوا من إدخال كل أصابعهم فيها لفعلوا، فالعبارة تدل على توجه إرادتهم وما في أنفهسم من مشاعر، فكان هذا الإطلاق المجازي، مع أن الذي يضعونه في آذانهم هو رؤوس أناملهم[1].

[1] البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، ج2 ص229

ثانيا. الاستعارة:

لغة: الاستعارة لغة رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر، يقال استعار فلان سهما من كنانته: رفعه وحوّله منها إلى يده.

وعلى هذا يصح أن يقال استعار إنسان من آخر شيئا، بمعنى أن الشيء المستعار قد انتقل من يد المعير إلى المستعير للانتفاع به، ومن ذلك يفهم ضمنا أن عملية الاستعارة لا تتمّ إلا بين متعارفين تجمع بينهما صلة ما[1].

اصطلاحا: هي الكلمة المستعملة في غير المعنى الذي وضعت له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الموضوع له، وهي في حقيقتها تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه[2]، أو بعبارة أخرى: **أصلها تشبيه حذف منه المشبه وأداة التشبه ووجه الشبه، ولم يبق منه إلا ما يدل على المشبه به، بأسلوب استعارة اللفظ الدال على المشبه به، أو استعارة بعض مشتقاته، أو بعض لوازمه، واستعمالها في الكلام بدلا عن ذكر لفظ المشبه، ملاحظا في هذا الاستعمال ادعاء أن المشبه داخل في جنس أو نوع أو صنف المشبه به، بسبب مشاركته له في الصفة التي هي وجه الشبه بينهما**[3].

كقولك: «**رأيت قمرًا يخطب خطبة بليغة**».

وطريقة إجرائها: شبه الوجه الصبوح بالقمر في الإشراق ثم تنوسي التشبيه، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، وداخل في جنسه، ثم استعير لفظ المشبه به وهو "القمر" للمشبه وأطلق عليه كأنه موضوع له، باعتباره أحد أفراد القمر.

أركانها: أركان الاستعارة أربعة، ففي مثل قولهم: «**انطلق أسد الكتيبة، يصرع فرسان الأعداء**».

1. **اللفظ المستعار: أسد.**
2. **المعنى المستعار منه، وهو المشبه به: الحيوان المفترس القوي.**
3. **المعنى المستعار له، وهو المشبه: الرجل الجريء.**

---

1 علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص167

2 طرفا التشبيه الأساسيان هما: المشبه والمشبه، والاستعارة تقوم على حذف أحد هذين الطرفين، إما المشبه أو المشبه به، أما أداة التشبيه ووجه الشبه فلا ومكان لهما في الاستعارة.

3 البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، ج2 ص229

4. القرينة الصارفة عن إرادة ما وضع له اللفظ في اصطلاح به التخاطب، وتكون لفظية أو عقلية (حالية): **يصرع فرسان الأعداء.**

شروطها:

١. أن يتناسى التشبيه الذي بنيت عليه الاستعارة، ويجعل كأن لم يكن، ويدعى حينئذ أن المشبه فرد من أفراد المشبه به، مبالغة في اتصاف المشبه بوجه الشبه.

٢. ألا يذكر وجه الشبه، ولا أداته لا لفظًا ولا تقديرًا، فإن ذكرا، أو ذكر أحدهما كان الكلام تشبيهًا، لا استعارة.

٣. ألا يجمع فيها بين الطرفين أصلًا، أو يجمع بينهما على وجه لا يدل على التشبيه.

أقسام الاستعارة: تقسم الاستعارة باعتبارات مختلفة إلى أقسام متنوعة، سنذكر أهمها، فباعتبار ذكر أحد الطرفين فإنها تقسم إلى قسمين: تصريحية، ومكنية.

الاستعارة التصريحية: وهي **ما صرّح فيها بلفظ المشبه به، أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه.**

قال المتنبي في وصف دخول رسول الروم على سيف الدولة:

وأقبل يمشي في البساط فما دَرَى * إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي**

في هذا البيت مجاز لغوي، أي كلمة استعملت في غير معناها الحقيقي وهي «البحر» والمقصود بها سيف الدولة الممدوح، والعلاقة المشابهة، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي لفظية وهي «فأقبل يمشي في البساط».

وفي البيت مجاز لغوي آخر، أي كلمة استعملت في غير معناها الحقيقي وهي «البدر» والمقصود بها أيضا سيف الدولة الممدوح، والعلاقة بين البدر والممدوح المشابهة في الرفعة، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي لفظية أيضا وهي «فأقبل يمشي في البساط».

وقال تعالى: ﴿كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾.

ففي الآية الكريمة مجازان لغويان في كلمتي «الظلمات والنور» قصد بالأولى «الضلال» وبالثانية «الهدى والإيمان». فقد استعير «الظلمات» للضلال، لعلاقة المشابهة بينهما في عدم اهتداء صاحبهما، كذلك استعير «النور» للهدى والإيمان، لعلاقة المشابهة بينهما في الهداية، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي في كلا المجازين قرينة حالية تفهم من سياق الكلام.

الاستعارة المكنية: هي **ما حذف فيها المشبه به أو المستعار منه، ورمز له بشيء من لوازمه.**

قال الشاعر دعبل الخزاعي:

لا تعجبي يا سلم من رجل ... ضحك المشِيبُ برأسه فبكى

فالمجاز هنا في كلمة «المشيب» حيث شبّه بإنسان على تخيل أن المشيب قد تمثل في صورة إنسان، ثم حذف المشبه به «الإنسان» ورمز له بشيء من لوازمه هو «ضحك» الذي هو القرينة.

قال الشاعر:

وإذا العناية لا حظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهنّ أمان**

المجاز اللغوي في كلمة «العناية»، فالذي يفهم من البيت أن الشاعر يريد أن يشبّه العناية بـ«إنسان»، وأصل الكلام: العناية كامرأة لاحظتك عيونها، ثم حذف المشبه به «المرأة» فصار: العناية لاحظتك عيونها، على تخيل أن العناية قد تمثلت في صورة امرأة، ثم رمز للمشبه به المحذوف بشيء من لوازمه هو «لاحظتك عيونها» والذي هو القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

وقال الحجاج من خطبته في أهل العراق: «**إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها و إني لصاحبها**».

فالمجاز اللغوي هنا في كلمة «رؤوسا»، وأصل الكلام على التشبيه «إني لأرى رؤوسا كالثمرات قد أينعت وحان قطافها» ثم حذف المشبه به وهو «الثمرات»، فصار الكلام «إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها» على تخيل أن الرؤوس قد تمثلت في صورة ثمار، ثم رمز للمشبّه به المحذوف بشيء من لوازمه هو «قد أينعت وحان قطافها».

القرينة في الاستعارة: القرينة هي الأمر الذي يضعه المتكلم دليلًا على أنه أراد باللفظ غير معناه الأصلي، وتكون لفظية أو عقلية أي غير لفظية.

اللفظية: لفظ يلائم المشبه يذكر في الكلام؛ ليصرفه عن إرادة معناه الأصلي، مثال ذلك "في التصريحية" قولك: «كَلَّمَنِي البَحْرُ.» فبحر مستعار للرجل العالم أو الكريم "استعارة تصريحية" وقرينتها لفظ "كلمني"؛ لأن البحر الحقيقي لا يتكلم.

غير اللفظية (عقلية): أمر خارج من اللفظ، يصرف الكلام عن إرادة معناه الحقيقي كدلالة الحال، أو استحالة المعنى.

فمثال ما قرينته حالية: «**رأيت قمرًا يخطب**» والسامع يرى رجلا يكلم الناس "فالقمر" مستعار للرجل الوضيء"استعارة أصلية" وقرينتها دلالة الحال.

ومثال ما قرينته الاستحالة قوله تعالى: ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ**﴾ شبه كثرة الماء كثرة جاوزت الحد بالطغيان بجامع تجاوز الحد في كلٍّ، ثم استعير الطغيان للكثرة، واشتق منه "طغى" بمعنى كثر حتى جاوز الحد "استعارة تبعية" والقرينة استحالة صدور الطغيان من الماء، إذ هو من شأن الإنسان.

الفرق بين المجاز العقلي والاستعارة المكنية:

في الاستعارة المكنية الفعل لا يمكن أن يصدر من المشبه به، ففي قولنا: «**ضحك المشيب**»، الفعل ضحك لا يمكن أن يصدر من المشيب، ولهذا يقال أنه شبه المشيب بالإنسان.

أما في المجاز العقلي فالفعل قد يصدر من المسند إليه، ففي قولنا «**بنى الأمير قصرا عظيما**» فالبناء قد يتعلق ويصدر من الأمير ولو كان ذلك بالأمر والتوجيه فقط.

وكذلك الأمر بالنسبة للمجاز المرسل فإن الإسناد لا يمكن أن يتحقق، ففي قوله تعالى: ﴿**يجعلون أصابعهم في أذانهم**﴾ لا يمكن أن إدخال الأصابع في الأذان.

الاستعارة الأصلية والتبعية: ويقسم البلاغيون الاستعارة تقسيما آخر باعتبار لفظها إلى أصلية وتبعية.

أ. الاستعارة الأصلية: هي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه اسما جامدا غير مشتق، أي اسم جنس[1] حقيقة، أو تأويلًا.

قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ فاستعارة الظلام للظلام والنور للهدى، والمستعار هنا جامد غير مشتق وبذلك فهي أصلية.

مثال ذلك لفظة «كوكبا» في قول التهامي الشاعر راثيا ابنا صغيرا له:

يا «كوكبا» ما كان أقصر عمره * وكذاك عمر كواكب الأسحار**

ففي إجراء هذه الاستعارة يقال: شبّه الابن «بالكوكب» بجامع صغر الجسم وعلو الشأن في كل، ثم استعير اللفظ الدّال على المشبه به «الكوكب» للمشبه «الابن» على سبيل الاستعارة التصريحية، وذلك للتصريح فيها بلفظ المشبه به. والقرينة نداؤه.

ومن إجراء هذه الاستعارات وتحليلها يتجلى لنا أمران: الأول أنه قد صرّح في كل استعارة بلفظ المشبه به، ولهذا تسمى الاستعارة «تصريحية»، والثاني أن اللفظ المستعار اسم جامد غير مشتق، وبسبب ذلك تسمى الاستعارة «أصلية».

ومن أجل ذلك تسمى هذه الاستعارات وأمثالها مما يتوافر له هذا الأمران «استعارة تصريحية أصلية».

وسميت أصلية؛ نسبة إلى الأصل بمعنى الكثير الغالب، ولا شك أنها أكثر وجودًا في الكلام من التبعية الآتية بعد، أو نسبة إلى الأصل بمعنى الاستقلال وعدم التبعية لاستعارة أخرى، تعتبر أولا، كما سيأتي في التبعية.

ب- الاستعارة التبعية: وهي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسما مشتقا أو فعلا.

1 – مثال ذلك لفظة «سكت» من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدىً وَرَحْمَةٌ﴾، ففي هذه الآية الكريمة استعارة تصريحية، وذلك للتصريح فيها بلفظ المشبه به، وفي إجرائها نقول: شبه انتهاء الغضب عن موسى «بالسكوت» بجامع

---

[1] اسما غير مشتق أي: معنى كليا يصدق على كثيرين "كأسد وقمر" في أسماء الذوات في "كالقتل والضرب" في أسماء المعاني.

الهدوء في كل، ثم استعير اللفظ الدّال على المشبه به وهو «السكوت» للمشبه وهو «انتهاء الغضب»، ثم اشتق من «السكوت» بمعنى انتهاء الغضب «سكت» الفعل بمعنى انتهى.

كما يجوز أن يشبّه «الغضب» بإنسان، ثم يحذف المشبه به «الإنسان» ويرمز إليه بشيء من لوازمه وهو «سكت»، فتكون في «الغضب» استعارة «مكنية».

ومن ذلك نرى أن كل استعارة «تبعية» يصحّ أن يكون في قرينتها استعارة «مكنية»، غير أنه لا يجوز لنا إجراء الاستعارة إلا في واحدة منهما لا في كلتيهما معا.

وتسمى تبعية لأن جريانها في المشتق يكون تابعا لجريانها في المصدر.

فإذا وازنا بين **إجراءِ هاته الاستعارة وإجراء الاستعارة الأصلية** رأينا أَنَّ الإجراءَ في التبعية لا ينتهي عند استعارةِ المشبَّه به للمشبَّه كما انتهى في الاستعارات الأصلية، بل يزيدُ عملا آخرَ وهو اشتقاقُ كلمةٍ من المشبَّه به، وأنَّ ألفاظ الاستعارة هنا مشتقةٌ لا جامدةٌ، ويسمَّى هذا النوعُ من الاستعارة بالاستعارةِ التبعيةِ، لأنَّ جريانِها في المشتقِّ كان تابعاً لجريانها في المصدر.

تنبيه:

وإذا كان اللفظ المُستعار «فعلاً» أو اسم فعلٍ، أو اسما مشتقا أو اسما مبهماً أو حرفا فالاستعارة «تصريحية تبعية» نحو: نامت هممي عنّي، ونحو: الجندي قاتل اللص، بمعنى ضاربه ضرباً شديداً، ونحو قوله تعالى: ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾ ونحو قوله تعالى: ﴿**فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَنًا**﴾، وإذا كان اللفظُ المستعار اسماً مشتقاً، أو اسماً مبهماً، «دون باقي أنواع التبعية المتقدمة» فالاستعارة «تبعية مكنية».

الاستعارة التمثيلية:

تنقسم الاستعارة من حيث الإفراد والتركيب إلى مفردة ومركبة.

فالمفردة هي ما كان المستعار فيها لفظا مفردا كما هو الشأن في الاستعارة التصريحية والمكنية.

أمّا المركبة فهي ما كان المستعار فيها تركيبا، وهذا النوع من الاستعارة يطلق عليه البلاغيون اسم «**الاستعارة التمثيلية**». وهم يعرفونها بقولهم: «**الاستعارة التمثيلية تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي**».

بحيثُ يكون كلٌّ منَ المشبَّه والمشبَّه به هيئةً منتزعةً منْ متعددٍ، وذلك بأنْ تشبَّهَ إحدى صورتينِ منتزعتينِ من أمرينِ، أو أمورٍ (بأخرَى) ثم تدخل المشبَّهَ في الصورةِ المشبَّهِ بها مبالغةً في التشبيهِ، ويسمَّى بالاستعارةِ التمثيليةِ، وهي كثيرةُ الورودِ في الأمثال السائرةِ، نحو:

الصيفُ ضيعتِ اللبنَ: يضربُ لمن فرَّط في تحصيلِ أمرٍ في زمنٍ يمكنهُ الحصولُ عليه فيه، ثم طلبَه في زمنٍ لا يُمكنهُ الحصولُ عليه فيه.

وتقع الأمثال (نثراً ونظماً) فمنَ النثرِ قولهُم: لمن يحتالُ على حصول أمر خفيٍّ، وهو متسترٌ تحت أمرٍ ظاهرٍ: «**لأمرٍ مَّا جُدع قصيرٌ أنفه**»، وقولهم لمنْ يريدُ أن يعملَ عملاً وحدَه وهو عاجزٌ عنه :«**اليد لا تصفق وحدها**» تشبيهاً له باليد الواحدة. وقولهم لمجاهدٍ عادَ إلى وطنهِ بعد سفر: «**عادَ السَّيْفُ إلى قِرَابِهِ، وَحلَّ اللَّيْثُ منيعَ غابه**» وقولهم لمن يأتي بالقول الفصل: «**قَطَعَتْ جَهيزَةُ قَوْلَ كلِّ خَطيبٍ**». وهو تركيب يُتَمَثلُ به في كل موطن يؤتَى فيه بالقولِ الفصل.

ومن الشعرِ قولُ الشاعر:

إذا جاءَ موسى وألقى العصا * فقد بطلَ السِّحرُ والساحرُ**

وقال المتنبي:

ومَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ * يَجِدْ مُرّاً بِهِ المَاءَ الزُّلالا**

فهذا البيت يدل وضعه الحقيقي على أنّ المريض الذي يصاب بمرارة في فمه إذا شرب الماء العذب وجده مرا. ولكن المتنبي لم يستعمله في هذا المعنى بل استعمله فيمن يعيبون شعره لعيب في ذوقهم الشعري، وضعف في إدراكهم الأدبي، فهذا التركيب مجاز قرينته حالية، وعلاقته المشابهة، والمشبه هنا حال المولعين بذمه والمشبه به حال المريض الذي يجد الماء الزلال مرا في فمه.

ولذلك يقال في إجراء هذه الاستعارة: شبهت حال من يعيبون شعر المتنبي لعيب في ذوقهم الشعري بحال المريض الذي يجد الماء العذب الزلال مرا في فمه بجامع السّقم في كلّ منهما، ثمّ استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي قرينة حالية تفهم من سياق الكلام.

لا تنثر الدر أمام الخنازير. «يقال لمن يقدم النصح لمن لا يفهمه أو لمن لا يعمل به».

المعنى الحقيقي لهذا التركيب هو النهي عن نثر الدر أمام الخنازير.

وهذا التركيب لم يستعمل للدلالة على هذا المعنى الحقيقي، وإنّما استعمل مجازيا لمن يقدم النصح لمن لا يفهمه أو لمن لا يعمل به، لعلاقة مشابهة بينهما. والقرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

فالتركيب هنا استعاري وفي إجراء استعارته يقال: شبهت حال من يقدم النصح لمن لا يفهمه أو لمن لا يعمل به بحال من ينثر الدرّ أمام الخنازير، بجامع أنّ كليهما لا ينتفع بالشيء النفيس الذي ألقي إليه، ثمّ استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي قرينة حالية تفهم من سياق الكلام.

بلاغة الاستعارة:

الاستعارة صورة من صور التوسع والمجاز في الكلام، وهي من أوصاف الفصاحة والبلاغة العامة التي ترجع إلى المعنى.

وإذا كان البلاغيون ينظرون إلى المجاز والتشبيه والاستعارة والكناية على أنّها عمد الإعجاز وأركانه، وعلى أنّها الأقطاب التي تدور البلاغة عليها، وتوجب الفضل والمزية، فإنّهم يجعلون المجاز والاستعارة عنوان ما يذكرون وأوّل ما يوردون.

وكما يقول عبد القاهر الجرجاني إنّ فضيلة الاستعارة الجامعة تتمثل في **أنّها تبرز البيان أبدا في صورة مستجدة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا**، وإنّك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فيها فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد ...

ومن خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها: **أنّها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر...**[1].

ومن خصائصها كذلك **التشخيص والتجسيد في المعنويات، وبث الحركة والحياة والنطق في الجماد.**

يقول الله تعالى في تصوير العذاب الذي أعدّه للكافرين به: ﴿**وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ* إِذا أُلْقُوا فِيها سَمِعُوا لَها شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ* تَكادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّما أُلْقِيَ فِيها فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ؟**﴾[2]. «فالشهيق» في الآية الكريمة قد استعير «للصوت الفظيع» وهما لفظتان و«الشهيق» لفظة واحدة، فهو أوجز على ما فيه من زيادة البيان.

---

[1] أسرار البلاغة ص 32 – 33

[2] الشهيق: أصله الصوت المزعج كصوت الحمار، والمراد به هنا «الحسيس» وهو الصوت الخفي الناشئ عن الفوران، وهذا الصوت يحدثه الله سبحانه في النار لشدة ازعاج الكافرين، وتميز: أصله تتميز، أي تتقطع وينفصل بعضها عن بعض، من الغيظ: أي من غيظها منهم، والكلام كله تمثيل لشدة غليانها انتظارا لهم، فوج: المراد هنا جماعة من الكفرة، والخزنة: جمع خازن، وهم الملائكة الموكلون بجهنم، وقد وصفهم الله في آية أخرى بأنّهم ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

و«تميز» استعير للفعل «تنشق من غير تباين» والاستعارة أبلغ، لأنّ التميز في الشيء هو أن يكون كل نوع منه مباينا لغيره وصائرا على حدّته، وهو أبلغ من الانشقاق، لأنّ الانشقاق قد يحدث في الشيء من غير تباين.

واستعارة «الغيض» لشدّة الغليان أوجز وأبلغ في الدلالة على المعنى المراد، لأنّ مقدار شدّته على النفس مدرك محسوس، ولأنّ الانتقام الصادر عن المغيظ يقع على قدر غيظه، ففيه بيان عجيب وزجر شديد لا تقوم مقامه الحقيقة البتة[1].

فالاستعارات هنا قد حققت غرضين من أغراض الاستعارة هما **الإيجاز والبيان، كما تضافرت معا في رسم نار جهنم و إبرازها في صورة تنخلع القلوب من هولها رعبا وفزعا**، صورة مخلوق ضخم بطاش، هائل جبار، مكفهر الوجه عابس يغلي صدره غيظا وحقدا.

فالاستعارة هي التي لوّنت المعاني الحقيقية في الآية كل هذا التلوين، وهي التي بثّت فيها كل هذا القدر من التأثير الذي ارتفع ببلاغتها إلى حد الإعجاز.

ومن خصائص الاستعارة **المبالغة في إبراز المعنى الموهوم إلى الصورة المشاهدة** كقوله تعالى في الإخبار عن الظالمين ومقاومتهم لرسالة رسوله: ﴿**وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ**﴾ على قراءة من نصب «لتزول» بلام كي.

«فالجبال» ههنا استعارة طوي فيه ذكر المستعار له وهو أمر الرسول، ومعنى هذا أنّ أمر الرسول وما جاء به من الآيات المعجزات قد شبه بالجبال، أي أنّهم مكروا مكرهم لكي تزول منه هذه الآيات المعجزات التي هي في ثباتها واستقرارها كالجبال.

فجمال المبالغة الناشئة عن الاستعارة هنا هو في إخراج ما لا يدرك إلى ما يدرك بالحاسة تعاليا بالمخبر عنه وتفخيما له إذ صير بمنزلة ما يدرك ويشاهد ويعاين.

ومن خصائص الاستعارة أيضا **بث الحياة والنطق في الجماد** كما ذكر آنفا، كقوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَلِلْأَرْضِ ائْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ**﴾ فكل من السماء والأرض جماد تحول بالتوسع الذي هيأته الاستعارة إلى إنسان حي ناطق.

كذلك من خصائصها **تجسيم الأمور المعنوية وذلك بإبرازها للعيان في صورة شخوص وكائنات حية يصدر عنها كل ما يصدر عن الكائنات الحية من حركات وأعمال.**

[1] الصناعتين ص 271

فأبو العتاهية في تهنئة المهدي بالخلافة يقول من قصيدة:

أتته الخلافة منقادة * إليه تجر أذيالها**

فالخلافة هنا تستحيل بفعل الاستعارة إلى امرأة حسناء تُعرِض عن جميع من فتنوا بها إلّا المهدي فإنّها تقبل عليه طائعة في دلال وجمال تجر أذيالها تيها وفخرا.

في الأخير لا يمكن عرض كل صور الاستعارة وخصائصها وأغراضها، فهذا أمر يطول شرحه ويضيق المقام عنه، ويكفي ذكر بعض خصائصها للإبانة عن مكانتها في البلاغة.

التشبيه وأضربه:

للتّشبيه روعة وجمال، وموقع حسنٌ في البلاغة: وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدنائه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً ويكسبُها جمالا وفضلا، ويكسوها شرفا ونُبلا، فهو فن واسع النطاق، مُتَشعب الأطراف.

ومن أساليب البيان: أنك إذا أردت إثبات صفة لموصوف، مع التوضيح، أو وجهٍ من المبالغة، عمدت إلى شيء آخر، تكون هذه الصفة واضحة فيه، وعقدت بين الاثنين مماثلة، تجعلها وسيلة لتوضيح الصفة، أو المبالغة في إثباتها _ لهذا كان التشبيه أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى.

التشبيه لغة: التمثيل، قال: هذا شبه هذا ومثيله.

التشبيه اصطلاحاً: عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر، لاشتراكهما في صفة أو أكثر، بأداة لغرض يقصد المتكلم[1]، أو هو: «صورة تقوم على تمثيل شيء (حسّي أو مجرّد) بشيء آخر (حسّي أو مجرّد) لاشتراكهما في صفة (حسّية أو مجرّدة) أو أكثر»[2].

أركان التشبيه: أركانه أربعة.

1. **المُشبه:** هو الأمر الذي يُراد إلحاقه بغيره.
2. **المُشبه به:** هو الأمر الذي يلحق به المشبه.
3. **وجه الشبه:** هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به، أقوى منه في المشبه، وقد يُذكر وجه الشبه في الكلام، وقد يُحذف.
4. **أداة التشبيه:** هي اللفظ الذي يدلُ على التشبيه، ويربط المشبّه بالمشبّه به، وقد تَذكر الأداة في التشبيه، وقد تحذف، وتأتي:

أ. **حرفا: كالكاف** ويليها المشبه به، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ**﴾ (يس: 39)، و**كَأَنَّ** التي يليها المشبه:

كأنك شمس والملوك كواكب* إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وتفيد التشبيه إذا كان خبرها جامدا، أو مؤولا بالجامد، وتفيد الظن إذا كان خبرها مشتقا سواء كان فعلا أو اسما، **كأنك فَاهِمٌ، وكأنَّك تَفْهَمُ**.

---

1 جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ص219

2 علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محي الدين ديب، ص143

ب. اسما: والأسماء المتداولة في هذا الباب هي: مِثْل، شِبْه، مُمَاثِل، قِرْن، مُضَارِع، وما كان بمعناها أو مشتقّا منها. مثال ذلك قول المجنون في ظبية:

أيَا شِبْه ليلى لا تراعي فإنّني * لك اليوم من وحشيّة لصديق**

وقول آخر:

كم وجوه مِثْل النهار ضياء * لنفوس كالليل في الإظلام**

ج. فعلا: الأفعال المحتملة في هذا الباب هي: شَابَهَ، حَاكَى، ضَارَعَ، مَاثَلَ، وَما شابه هذه الأفعال.

تفّاحة جمعت لونين قد حكيا * خدّي حبيب ومحبوب قد اتّفقا**

ملاحظة: التشبيه بكأن أبلغ من غيره ببقية الأدوات، يقول الجرجاني: «زيد كالأسد أو مثل الأسد، أو شبيه بالأسد، فتجد ذلك كلّه تشبيها غفلا ساذجا ثم تقول: كأنّ زيدا الأسد، فيكون تشبيها أيضا، إلا أنّك ترى بينه وبين الأوّل بونا بعيدا؛ لأنّك ترى له صورة خاصة، وتجدك قد فخّمت المعنى، وزدت فيه بأن أفدت أنّه من الشجاعة وشدّة البطش، وأنّ قلبه قلب لا يخامره الذّعر، ولا يدخله الرّوع بحيث يتوهّم أنه الأسد بعينه، ثم تقول: لئن لقيته ليلقينّك منه الأسد، فتجده قد أفاد هذه المبالغة لكن في صورة أحسن وصفة أخص، وذلك أنّك تجعله في (كأنّ) يتوهّم أنه الأسد، فيخرج الأمر عن حدّ التوّهم إلى حدّ اليقين»[1]، ولهذا عدّ التشبيه البليغ الذي حذف منه وجه الشّبه وأداة التشبيه أقوى أنواع التشبيه لأنّه يرفع المشبّه إلى مرتبة المشبّه به إلى حدّ المماثلة التامّة[2].

حذف بعض أركان التشبيه:

الأركان الأربعة الأولى قد تذكر جميعها في جملة التشبيه، كما في: محمد كالبحر عطاء، فقد ذكر المشبه، والمشبه به، وجه الشبه، وأداة التشبيه، وقد تُحذف الأداة كما في قولنا: محمد بحر في العطاء، وذلك إذا كان المقام يقتضي المبالغة في المشابهة، وقد يحذف الوجه، فنقول مثلًا: محمد كالبحر، أو محمد بحر، ويعرف هذا الأخير بالتشبيه البليغ.

وقد يلحق المشبه بالوجه والأداة فيحذف معهما، ويبقى المشبه به فقط في سياق الكلام، من ذلك مثلًا ما جاء في قول الله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 171) تقدير الكلام هم كالصم، هم كالعمي، هم كالبكم، ففي هذه الآية تمَّ حذف الأداة ووجه الشبه،

1 دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص352

2 علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محي الدين ديب، ص148

وحُذف أيضًا المشبه، وحذفه هنا في الآية لا يُخرج الكلام عن دائرة التشبيه؛ لأن القاعدة المشهورة تقول: **المقدر كالمذكور**.

أما **المشبه به فهو الذي يتحتم ذكره، ولا يتأتى حذفه بحال من الأحوال؛ لأن في حذفه تفويتًا للغرض المقصود من التشبيه**.

تقسيم طرفي التشبيه إلى حسّي، وعقلي:

طرفا التشبيه «المشبه، والمشبه به»، قد يكونا حسيين فيدركان بالحواس أو عقليين يدركان بالعقل والوجدان وليس بالحواس.

1. الطرفان حسيَّان:

أنت نجم في رفعة وضياء * تجتليك العيون شرقا وغربا**

شبّه الممدوح بالنجم في رفعته وضيائه وذكر العيون آلة البصر التي ترى، **فالطرفان حسّيان يقعان تحت البصر**، ومثله تشبيه الخدّ بالورد، وتشبيه الوجه بالقمر، وتشبيه الشعر بالليل.

ومثله ما يدرك بالسمع أو الذوق أو الشم، أول اللمس كتشبيه الجسم بالحرير في قول الشاعر:

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر**

2. الطرفان العقليّان:

كتشبيه العلم بالحياة، فلا العلم محسوس ولا الحياة وإنّما يدركان بالعقل وحده.

وهناك تشابيه يخترعها العقل وليس لها كيان خارجي سمّاها البلاغيون بالتشابيه الوهمية، وهي ما لا يدرك بإحدى الحواس، ولكنّه لو وجد فأدرك، لكان مدركا بها، ومثالها، قوله تعالى في شجرة الزقّوم: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ*طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ (الصافات: 65) فالشياطين ليس لها وجود خارجي محسوس، بل هي من عالم الغيب؛ لذلك فرؤوسها غير معروفة إلّا ما أخبرت به الشريعة، لكنها لو وجدت فأدركت لكان إدراكها عن طريق حاسة البصر. وكذلك القول في ما قاله امرؤ القيس:

أيقتلني والمشرفيّ مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال**

فالغول وأنيابها مما لا يدرك بإحدى الحواس، ولكنها لو أدركت لكان إدراكها من طريق حاسة البصر.

وأعلم أن الوهميّ لا وجود لهيئته ولا لجميع مادّته، والخيالي جميع مادّته موجودة دون هيئة.

3 - الطّرفان المختلفان: وهما اللذان يتكوّنان من مشبّه حسّي ومشبّه به عقلي، أو العكس.

أ. تشبيه المعقول بالمحسوس: ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ (البقرة: 171) فالكفر، شيء عقلي، والمشبّه به الناعق الذي يصوّت للأغنام، حسّي.

وكقول الشاعر:

إنّ حظّي كدَقيق * في يوم ريح نثروه**
ثمّ قالوا لحفاة في * أرض شوك اجمعوه**

فالمشبّه (الحظّ) أمر معنوي يدركه العقل، والمشبّه به (الدقيق) أمر حسّي يدركه اللمس والبصر.

ب. تشبيه المحسوس بالمعقول: ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ* طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ﴾، فالمشبه (طلعها) حسّي يدرك بالعين واللمس، والمشبّه به (رؤوس الشياطين) عقلي.

وكقول الشاعر:

وندمان سقيت الراح صرفا * وأفق الليل مرتفع السّجوف**
صفت وصفت زجاجتها عليها * كمعنى دقّ في ذهن لطيف**

فالمشبه (صفاء الخمر وصفاء زجاجتها) حسّي يدرك بالعين، أمّا المشبه به (معنى دقّ) فعقلي لا يدرك بالحواس.

أخيرا، تبين لنا أن تشبيه شيئين أحدهما بالآخر لا يخلو من أن يكون تشبيه معنى بمعنى، أو تشبيه صورة بصورة، أو تشبيه معنى بصورة، أو تشبيه صورة بمعنى. وأبلغ هذه الأنواع تشبيه معنى بصورة، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾ ووجه بلاغة هذا النوع تأتي من تمثيله للمعاني الموهومة بالصور المشاهدة.

تقسيم طرفي التشبيه، باعتبار الإفراد، والتركيب: طرفا التشبيه «المشبه والمشبه به» إمّا أن يكونا:

1. مفردين مطلقين: إذا لم يقيّدا بشيء، نحو: ضوءه كالشمس، وخده كالورد.

2. **مفردين مقيدين:** إذا أتبعا بإضافة، أو وصف، أو حال، أو ظرف، أو سوى ذلك.

ويجب أن يكون لهذا القيد تأثير في وجه الشّبه، نحو:

الساعي بغير طائل * كالرّاقم على الماء.**

3. **مختلفين، أحدهما مطلق والآخر مقيد:**

ثغره كاللولؤ المنظوم (المشّبه به هو المقيد)، و**العين الزرقاء كالسّنان** (المشّبه هو المقيد)

4. **مركبين تركيباً لم يُمكن إفراد أجزائهما**، بحيث يكون المركب هيئة حاصلة من شيئين، أو من أشياء، تلاصقت حتى اعتبرها المتكلم شيئاً واحداً، وإذا انتُزع الوجهُ من بعضها دون بعض، اختل قصد المتكلم من التشبيه، كقوله:

كأن سهيلاً والنجوم وراءه * صفوف صلاة قام فيها إمامها**

(إذ لو قيل كأن سهيلاً إمام، وكأن النجوم صفوف صلاة، لذهبت فائدة التشبيه).

5. **مركبين تركيباً إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة (المشبه به)**، كما في قول الشاعر حيث شبَّه النجوم اللّامعة في كبد السَّماء، بدرر مُنتثرة على بساط أزرق.

وكأنّ أجرامَ النجوم لوامعاً * دُررٌ نُثرنَ على بساط أزرق**

إذ لو قيل: كأن النجوم دُرر، وكأن السماء بساط أزرق، كان التشبيه مقبولا، لكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به.

6. **وإما مفرد بمركب**، كقول الخنساء:

أغر أبلجُ تأتم الهُداةُ * بهِ كأنه علمٌ في رأسه نارُ**

7. **وإما مركب بمفرد**، نحو: الماء المالح كالسّم، وكقوله:

لا تعجبوا من خاله في خده * كل الشقيق بنقطة سوداء**

فالمشبه مركب من (الخال والخد)، والمشبه به مفرد وهو (الشقيق).

واعلم: أنه متى رُكب أحد الطرفين لا يكاد يكون الآخر مفرداً مطلقاً، بل يكون مركباً، أو مفرداً مقيدا، ومتى كان هناك تقييد أو تركيب كان الوجه مركباً، ضرورة انتزاعه من المركب، أو من القيد، والمُقيد.

أقسام التشبيه باعتبار الأداة ووجه الشّبه:

أولا: باعتبار الأداة: يقسم التشبيه باعتبار الأداة إلى قسمين:

1. **تشبيه مرسل:** وهو **ما ذكرت فيه الأداة**، مثال ذلك قوله:

إنّما الدّنيا كبَيْتٍ * نَسْجُه من عنكبوت**

حضرت الأداة وحضورها كما يقال: «يبقي على البعد أو الفضاء الفاصل بين الطّرفين في تصنيف الموجودات».

2. **تشبيه مؤكّد:** وهو **ما حذفت منه الأداة**، مثاله قول أحدهم:

أنت نجم في رفعة وضياء * تجتليك العيون شرقا وغربا**

فأداة التشبيه محذوفة والتقدير: أنت مثل النّجم، أو أنت كنجم ...

ومن المؤكّد ما أضيف فيه المشبّه به إلى المشبّه، ومثاله:

والرّيح تعبث بالغصون وقد جرى * ذَهَبُ الأصيل على لُجَيْن الماء**

والشاعر يريد تشبيه الأصيل بالذّهب، والماء باللّجين.

وهذا الضرب من التشبيه أبلغ، وأوجز، وأشدّ وقعا في النفس، والنكتة في بلاغته أنّه يجعل المشبّه والمشبّه به شيئا واحدا. وقد وفّق الأزهر الزنّاد إلى تفسير علّة التسمية فقال: «بغياب الأداة ينتقل التركيب من إخبار بالمشابهة إلى إخبار بالمشبّه به عن المشبّه، فهو هو، وهذا مدخل التوكيد فيه، لذلك سمّي بالمؤكّد. وفيه تضيق المسافة الفاصلة بين الطرفين فتصل التطابق أو تكاد... فغياب الأداة إيهام بالتطابق، وهو أمر يرتبط بغياب شحنة المعقولية التي يقوم عليها الجمع بين طرفي التشبيه والتي تعبّر عنها الأداة».

ثانيا: باعتبار وجه الشّبه: يقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى قسمين:

1. **تشبيه مجمل:** وهو **ما حذف منه وجه الشّبه**، وبغيابه أجمل المتكلّم في الجمع بين الطرفين فسمّي مجملا، مثاله قول ابن الرومي في مغنّ.

فكأن لذّة صوته ودبيبها * سِنَة تَمَشَّى في مفاصلِ نُعَّس**

لم يذكر الشاعر وجه الشّبه لأنّه يدرك بسرعة وهو التلذّذ والارتياح. وقد كشف الأزهر الزنّاد عن سرّ التسمية وأثرها بقوله: «وبهذا الإجمال لم يقصد الباثّ إلى تحديد مجال التقاطع وإنّما تركه غائما، وهو دون شكّ يعوّل في ذلك على حس سامعه في الاهتداء إلى ذلك المجال».

2. **تشبيه مفصّل:** وهو **ما ذكر فيه وجه الشّبه**، مثال ذلك قوله مفتخرا:

أنا كالماء إن رضيت صفاء * وإذا ما سخطت كنت لهيبا**

فوجه الشّبه مذكور في التشبيه وهو (صفاء ولهيبا)، ورأى الأزهر الزّناد أنّ: «بذكره يفصّل المتكلّم وجه الجمع بين طرفي التشبيه فيسهّل على المتلقي (السامع أو القارئ) العثور على السّمة التي يشترك فيها الطرفان، ولذلك سمّي هذا التشبيه مفصّلا، وهذا التفصيل يبقي على

الانفصال الموجود بين طرفي التشبيه إذ يشعر الباثّ سامعه بأنه يقرن بين الطرفين في نقطة واحدة وهما شيئان متمايزان في سائر السّمات».

ثالثا: باعتبار الأداة ووجه الشّبه معا: يقسم التشبيه باجتماعهما وافتراقهما إلى أربعة أقسام:

1. **مؤكّد مفصّل:** وهو **ما حذفت منه الأداة، وذكر وجه الشّبه**، ومثاله:

أنت نجم في رفعة وضياء * تجتليك العيون شرقا وغربا**

الأداة محذوفة، ووجه الشبه مذكور (الرّفعة والضياء).

2. **مرسل مجمل:** وهو **ما ذكرت فيه الأداة وحذف وجه الشّبه**، كقوله:

وكأنّ البنفسج الغضّ يحكي * أثر اللّطم في خدود الغيد**

فالمشبه: البنفسج، والمشبّه به، أثر اللّطم في خدود الملاح، ووجه الشّبه محذوف (اللون)، والأداة: يحكي مذكورة.

3. **تشبيه بليغ (مؤكد مجمل):** هو **ما حذفت منه الأداة ووجه الشّبه معا**، وهو أعلى التشبيه بلاغة ومبالغة في آن، ويأتي على صور متعدّدة تبعا لموقع المشبّه به من الإعراب، وأشهر هذه الصور:

أ. أن يكون المشبّه به خبرا للمشبّه: كقول (عمر أبو ريشة):

يا بلادي وأنت نهلةُ ظمآ * ن وشبّابة على فم شاعر**

فالمشبّه أنت، والمشبّه به: نهلة ظمآن (وهي في محلّ رفع خبر المبتدأ) الأداة: محذوفة، ووجه الشّبه مثلها محذوف وتقديره (الجمال).

وهناك تشبيه آخر. المشبّه: أنت، المشبّه به: شبّابة وهو معطوف على الخبر (نهلة)، والأداة محذوفة ووجه الشّبه مثلها محذوف.

ب. أن يكون المشبّه به حالا للمشبّه: ومثاله: **دخل نمرا، وخرج هرّا.**

فالمشبّه محذوف تقديره هو، والمشبّه به نمرا (حال) والأداة ووجه الشّبه محذوفان، والقول نفسه يصحّ في: خرج هرّا، ومثاله أيضا قول علي محمود طه:

صاح بالشّمس لا يرعك عذابي * فاسكبي النّار في دمي وأريقي**
وخذي الجسم حفنة من رماد * وخذي الرّوح شعلة من حريق**

في البيت تشبيهان:

في الأول: المشبّه: الجسم، المشبّه به: حفنة، وهو حال من المشبّه، والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

في الثاني: المشبّه: الرّوح، والمشبّه به: شعلة، وهو حال من المشبّه، والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

ج. أن يكون المشبّه به مضافا إلى المشبّه: ويكون فيها المضافُ مشبَّهاً به، والمضاف إليه مشبَّهاً.

ومثاله: **لبس المريض ثوب العافية**. فالمشبّه العافية، والمشبّه به ثوب، والعافية مضافة إلى الثوب. ومنه أيضا قوله إلياس فرحات:

هلّا مننت بلقيا أستردّ بها * فجر الشّباب فشمس العمر في الطّفل؟**

في الأول: المشبّه **الشباب** (مضاف إليه)، المشبّه به: **فجر** أضيف إلى المشبّه والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

في الثاني: المشبّه: **العمر** (مضاف إليه)، والمشبّه به: **الشمس** (مضاف إلى المشبّه) والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

وهذا من باب إضافة المشبّه به إلى المشبّه.

والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الأصيل على لجين الماء**

شبه الشاعر **الماء بالفضة** (اللجين) في النقاء والصفاء، ثم أضاف المشبه به إلى المشبه بعد حذف الأداة، وتناسيها في نظم الكلام.

فهنا شبه الماء وهو المضاف إليه باللجين، وقد وقع المشبه به هو اللجين مضافًا إلى المشبه وهو الماء، وسمي التشبيه "مؤكدًا" لأنه أكد وقرر بدعوى اتحاد الطرفين، وأن المشبه هو المشبه به، لا يتميز أحدهما عن الآخر في شيء.

د. أن يكون المشبّه به مفعولا به ثانيا، والمشبّه مفعولا أوّلا: ومثاله قول المازني في وردة ذابلة:

ولو استطعت حنيت أضـ * لاعي على ذاوي سناها**
وجعلت صدري قبرها * وجعلت أحشائي ثراها**

في البيت الثاني تشبيهان: (صدري قبرها) و(أحشائي ثراها).

الأوّل: المشبّه: **صدري** مفعول به أوّل لـ(جعل)، والمشبّه به: **قبرها** مفعول به ثان لـ (جعل)، والأداة ووجه الشّبه محذوفان، ونفس الأمر ينطبق على التشبيه الثاني.

هـ. أن يكون المشبّه به مفعولا مطلقا مبيّنا للنّوع: على أن يكون المشبّه مصدرا مقدّرا من الفعل العامل فيه، ومثاله قول المازني في الوردة الذابلة.

وضممتها ضمّ الحبيب * ب عسى يعود لها صباها**

فالمشبّه: **الضمّ** (مصدر مقدّر من الفعل **ضممتها**) والتقدير ضممتها ضمّا كضمّ، والمشبّه به: **ضمّ**: مفعول مطلق من الفعل ضمّ، والحبيب وصف للمصدر مبينا لنوعه، والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

و. أن يكون المشبّه به مجرورا بـ (من) البيانية التي تبينّ المشبّه: كقول الشابّي:

ورفرف روح غريب الجمال * بأجنحة من ضياء القمر**

المشبّه: **أجنحة الروح**، المشبّه به: **ضياء القمر** مسبوق بـ(من) البيانية التي بيّنت نوع الأجنحة، والأداة ووجه الشّبه محذوفان.

ز. أن يكون المشبّه به أحد التوابع: ومثاله قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً* وَداعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنِيراً**﴾ (الأحزاب: 45-46) شُ ﷺ بالمصباح المنير الذي يهدي البشر إلى الله تعالى، فالمشبّه **النبيّ** والمشبّه به: سراجا (معطوف على الحال شاهدا) والأداة ووجه الشبه محذوفان.

تشبيه التمثيل:

هو ما كان وجه الشّبه فيه صورة منتزعة من متعدّد، أو هو الذي يكون وجه الشّبه فيه مركّبا.

اشترط البلاغيّون تركيب الصورة فيه، سواء أكانت العناصر التي تتألف منها صورته أو تركيبته حسّية أو معنوية.

وكلّما كانت عناصر الصورة أكثر، كان التشبيه أبعد وأبلغ.

قال ابن الرومي (المنسرح):

أوّل بدء المشيب واحدة * تشعل ما جاورت من الشّعر**
مثل الحريق العظيم تبدؤه * أوّل صول صغيرة الشّرر**

في هذين البيتين مشهدان متفقان في وجوه عديدة تلتقي لتكوّن في النهاية وجها واحدا. للأجزاء المكوّنة لكل مشهد قيمة في تجمّعها ولا قيمة لكل جزء منفردا، يتكوّن المشهدان من الأجزاء الآتية:

المشهد الأول: غزا الشيب شعر الشاعر فبدأ بشعرة بيضاء ثم توسّع في هذا الشعر الأسود حتّى قضى عليه قضاء مبرما فاتسعت دائرة البياض وتوارت دائرة السّواد.

المشهد الثاني: المقابل يتمثّل في حريق عظيم بدأ بشرارة صغيرة ثم أخذت نيرانه تتوسّع ملتهمة كل ما يقع في طريقها.

لنبحث في هذين المشهدين المتقابلين عن عناصر تشبيه التمثيل:

فبين المشيب وبقايا النار جامع البياض المشرب بالسواد الخجول.

والمشيب يأتي على الشعر بأكمله تدريجيا والنار تلتهم كل ما يقف بوجهها تدريجيا أيضا.

الشّيب يبدأ بشعرة واحدة والحريق العظيم تبدؤه شرارة صغيرة وهكذا فإن تشبيه التمثيل هذا يتكوّن من:

تشبيه (1) وفيه: مشبه (1) + مشبّه به (1) + وجه شبه (1)

تشبيه (2) وفيه: مشبه (2) + مشبّه به (2) + وجه شبه (2)

تشبيه (3) وفيه: مشبه (3) + مشبّه به (3) + وجه شبه (3)

والخلاصة أن تشبيه التمثيل مكوّن من مشبّه متعدّد+ وجه شبه متعدّد+ مشبّه به متعدّد.

ولهذا كان تشبيه التمثيل محتاجا إلى عمليّات ذهنية متلاحقة لفكّ أجزائه والتعرّف إلى التماثل القائم بين هذه الأجزاء. فالصورة فيه أشبه بالومضات (فلاش) المتلاحقة التي تجسّد

في النهاية صورة متكاملة ولهذا كانت الصورة مشهدا متتابعا، ويجب التنبّه إلى أن المعوّل عليه في التعدّد هو وجه الشّبه فقط.

ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ، وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 261).

فالمشبه حال من ينفق قليلا في سبيل الله ثم يلقى عليه جزاء جزيلا، والمشبه به حال من بذر حبة فأنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبة، ووجه الشبه هو صورة من يعمل قليلا فيجني من ثمار عمله كثيرا.

وتراه في ظلم الوغى فتخاله * قمرا يكرّ على الرجال بكوكب**

فالمشبه هنا هو صورة الممدوح الفارس وبيده سيف لا مع يشق به ظلام غبار الحرب، والمشبه به صورة قمر يشق ظلمة الفضاء ويتصل به كوكب مضيء، ووجه الشبه هو الصورة المركبة من ظهور شيء مضيء يلوح بشيء متلألئ في وسط الظلام.

تشبيه غير التّمثيل: هو **ما كان فيه وجه الشّبه مفردا، أي أنه ليس صورة منتزعة من متعدّد.**

قال البحتري (الخفيف):

هو بحر السّماح والجود فازدد * منه قربا تزدد من الفقر بعدا**

فعناصر التشبيه هي: المشبه: الممدوح، والمشبّه به: البحر، وجه الشبه: الجود، وهكذا فإنّ وجه الشبه ليس صورة منتزعة من متعدّد كما في تشبيه التمثيل.

وقال أبو بكر الخالدي (من الرّمل):

يا شبيه البدر حسنا * وضياء ومنالا**
وشبيه الغصن لينا * وقواما واعتدالا**
أنت مثل الورد لونا * ونسيما وملالا**
زارنا حتى إذا ما * سرّنا بالقرب زالا**

فالمشبّه في هذه الأبيات جميعا هو الحبيب. أمّا المشبّه به فهو على التوالي: البدر والغصن والورد.

التشبيه الضّمني: هو **تشبيه لا يوضع فيه المشبّه والمشبّه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب**، فهو **تشبيه مضمر في النّفس ويؤثر فيه التلميح على التّصريح.**

كما أن التسمية تشير إلى أن التشبيه غير ظاهر في الكلام وإنّما على المتلقّي أن يفهمه ضمنا لأنّه يخاطب ذكاءه وفطنته.

ويؤتى بهذا النوع من التشبيه ليدلّ على أنّ الحكم الذي أسند إلى المشبّه ممكن وإن لم يغب عنه جانب التّخييل.

مزاياه: من أهم المزايا التي يختصّ بها التشبيه الضمني ما يأتي:

- لا تظهر فيه الأداة أو وجه الشّبه بشكل صريح.
- لا يرتبط فيه المشبّه بالمشبّه به ارتباطهما المعروف في باقي أنواع التشبيه، بل تلمح بينهما العلاقة من خلال المعنى الذي يكاد يخفيه التشبيه.
- هو أبلغ من غيره، وأنفذ في النفوس والخواطر لاتخاذه جانب التلميح واكتفائه به.
- يكثر وروده في الحكم والمواعظ والأمثال.
- كثيرا ما يأتي في جملتين متواليتين لكلّ منهما معناها المستقلّ، وقد تربط جملة المشبّه به بجملة المشبّه بحرف الواو، كقول أبي فراس (الطويل):

تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر**

أو كقول المتنبي (الوافر):

فإن تفق الأنام وأنت منهم * فإنّ المسك بعض دم الغزال**

قال ابن الرّومي (الخفيف):

قد يشيب الفتى وليس عجيبا * أن يرى النّور في القضيب الرّطيب**

لم يقل ابن الرّومي: الفتى وقد وخطه الشّيب كالغصن الرّطيب عند إزهاره لكنّه أتى بهذا المعنى ضمنا؛ ولهذا سمّي هذا التشبيه ضمنيا.

وقال أبو فراس (الطويل):

سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهم * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر**

لم يقل أبو فراس: أنا إذا اشتدّ الخطب على قومي فأنا كالبدر الذي ينير الليلة الظلماء، بل ترك للمخاطبين أن يستنتجوا ذلك، وسيذهب ذهنهم إلى مثل هذا التشبيه لمجرّد سماعهم عجز البيت.

وقال المتنبّي (الخفيف):

من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميّت إيلام**

لم يقل المتنبي إنّ المتهاون بكرامته مرّة لا يحسّ بذلّ جديد يصيبه لأن كرامته ميتة، والكرامة الميتة كالجسد الميت لا يتألم إذا جرح جرحا جديدا. لقد مثّل الشطر الثاني المشبّه به ولم يرتبط بالصدر الذي يمثّل المشبّه بأيّ رابط لفظي، لكنّ الارتباط المعنوي عوّض عن الرابط اللفظي.

بين التشبيه الضمني والتشبيه التمثيلي:

- الأداة ووجه الشّبه محذوفان وجوبا في التشبيه الضمني لكنّهما محذوفان جوازا في التشبيه التمثيلي.
- المشبّه والمشبّه به معنى مركّب في كليهما من عدّة أجزاء.
- تربط المشبّه بالمشبّه به علاقة نحوية أو إعرابية في التشبيه التمثيلي، ولا يرتبطان في التشبيه الضمني بأية علاقة نحوية، بل تكون جملة المشبّه به استئنافية لا محلّ لها من الإعراب غالبا.

التشبيه المقلوب: هو **تشبيه معكوس يصير فيه المشبّه مشبّها به بادّعاء أنّ وجه الشّبه فيه أقوى.**

قال أحدهم (الكامل):

وبدا الصّباح كأنّ غرّته * وجه الخليفة حين يمتدح**

فالمشبه: **غرّة الصّباح وتباشيره**. والمشبّه به: **وجه الخليفة**.

فالشاعر شبّه تباشير الصّباح في ضيائها بوجه الخليفة عندما يسمع المديح. وقد خرج الشاعر على المألوف في تشبيهه لأنّ المألوف والمتداول أن يشبّه وجه الخليفة بتباشير الصّباح ولكنّ الشاعر عكس الآية بهدف الإغراب والمبالغة.

وقال بشّار (البسيط):

وذات دلّ كأنّ البدر صورتها * باتت تغنّي عميد القلب سكرانا**

المشبّه به: **المرأة الحبيبة المدلّلة**، والمشبّه: **البدر**. فالشاعر كسر المألوف وخلخل العلاقة بين المشبّه والمشبّه به، فقلب المعادلة وصدم القارئ لأنّه خرج على المألوف الذي استنفدت طاقاته الإيحائية، فخرّب العلاقة بين المشبّه والمشبّه به ليأتي بجديد مبالغ فيه.

فبدل أن تشبه المرأة الجميلة بالبدر، صار البدر عند الشاعر يشبه المرأة الجميلة لأن وجه الشّبه أقوى في المشبّه به منه في المشبّه، ولهذا فإنّ الشاعر يزعم أن المرأة الحبيبة أجمل من البدر.

لهذا عدّ التشبيه المقلوب ضربا من التجديد في الأساليب القديمة.

شروطه: الشرط الرئيس في استعماله ألّا يرد إلّا في ما جرى عليه العرف لدى العرب، وهذا الشرط يحافظ على وضوح صورة القلب والانعكاس، وإلّا فإنه يصبح ضربا من الإلغاز.

الغرض من التشبيه المقلوب:

سمّاه ابن جنّي: غلبة الفروع على الأصول، وقال: لا تجد شيئا من ذلك إلّا والغرض منه المبالغة».

وسمّاه ابن الأثير في المثل السائر «الطّرد والعكس» وقال عنه عبد القاهر «هو جعل الفرع أصلا والأصل فرعا».

لهذا عدّ التشبيه المقلوب ضربا من المبالغة وكسر الرتابة في التشابيه المبتذلة التي مجّها الذوق وملّها السمع لفرط تردّد المعاني المكررة، فجاء التشبيه المقلوب ليقضي على الرّتابة ويحدث ضربا جديدا من العلاقات القائمة بين طرفي التشبيه.

بلاغة التشبيه بأنواعه:

من بلاغة التشبيه أن يشبّه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم، لأن التشبيه لا يعمد إليه إلا لضرب من المبالغة، فإما أن يكون مدحا أو ذمّا أو بيانا وإيضاحا، ولا يخرج عن هذه المعاني الثلاثة.

وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من أن يكون الوصف في المشبه به أبلغ من المشبه، فإذا شبّه شيء حسن بشيء حسن، فإنه إذا لم يشبه بما هو أحسن منه فليس بوارد على طريق البلاغة، وإن شبّه قبيح بقبيح فينبغي أن يكون المشبّه به أقبح، وإن قصد البيان والإيضاح فينبغي أن يكون المشبه به أبين وأوضح[1].

وتنشأ بلاغة التشبيه من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه، إلى شيء طريف يشبهه، أو صورة بارعة تمثّله وكلما كان هذا الانتقال بعيداً، قليل الخطور بالبال، أو ممتزجاً بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروع للنفس، وأدعى إلى إعجابها واهتزازها فإذا قلت: فلان يشبه فلانا

1 علم البيان، عبد العزيز عتيق، ص119

في الطول، أو أن الأرض تشبه الكرة في الشكل، لم يكن في هذه التشبيهات أثر للبلاغة، لظهور المشابهة، وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة، وجهد أدبي، ولخلوّها من الخيال، وهذا الضرب من التشبيه، يقصد به البيان والإيضاح، وتقريب الشيء إلى الأفهام، وأكثر ما يستعمل في العلوم والفنون، ولكنك تأخذك روعة التشبيه، حينما تسمع قول الشاعر:

وكأن النجوم بين دجاها*سنن لاح بينهن ابتداع**[1]

فإن جمال هذا التشبيه: جاء من شعورك ببراعة الشاعر وحذقه، في عقد المشابهة بين حالتين ما كان يخطر بالبال تشابههما، وهما حالة النجوم في رقعة الليل، بحال السنن الدينية الصحيحة، متفرقة بين البدع الباطلة، وروعة أخرى، تتجلى في أن الشاعر، تخيل أن السنن مضيئة لمّاعة، وأن البدع مظلمة قاتمة[2].

1 هذا من التشبيه المقلوب حيث شبه، النجوم في الظلام بالسنن بين البدع المظلمة.

2 جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ص246

الاستعارة والكناية:

وفيما يلي إجراء لبعض الاستعارات يحلّلها ويوضّح العناصر الرئيسية التي تتألف منها:

1. قال ابن المعتز:

جمع الحق لنا في إمام ❖❖❖ قتل البخل وأحيا السماحا

في البيت استعارتان الأولى منهما في «قتل البخل» حيث شبّه تجنب كل مظاهر البخل، وهو المشبه، بالقتل، وهو المشبه به، بجامع الزوال في كل، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي هي لفظة «البخل». ولأن المشبّه به وهو «القتل» مصرّح به تسمى هذه الاستعارة «تصريحية».

والاستعارة الثانية في البيت هي «أحيا السماحا»، حيث شبّه تجديد و انبعاث ما اندثر من عادة الكرم، وهو المشبه، بالإحياء، وهو المشبه به، بجامع الإيجاد بعد العدم في كل، والقرينة هنا لفظية وهي «السماحا».

ولأن المشبه به «الإحياء» مصرّح به فالاستعارة «تصريحية».

2. قال أبو خراش الهذلي:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ❖❖❖ أبصرت كل تميمة لا تنفع

في هذا البيت شبّهت «المنية» بحيوان مفترس بجامع إزهاق روح من يقع عليه كلاهما، ثم حذف المشبه به «الحيوان المفترس» ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو «أنشبت أظفارها»، والقرينة لفظية وهي إثبات الأظفار للمنيّة. والاستعارة هنا «مكنية» لأن المشبه به قد حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه.

3. وقال أبو العتاهية يهنئ المهدي بالخلافة:

أتته الخلافة منقادة ❖❖❖ إليه تجرّر أذيالها

شبّهت «الخلافة» هنا بغادة ترتدي ثوبا طويل الذيل بجامع بهاء المنظر والحسن في كل، ثم حذف المشبه به «الغادة» ورمز إليها بشيء من لوازمها وهو «أتته منقادة»، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي لفظية، وهي «تجرر أذيالها» أو إثبات تجرير الأذيال للخلافة. ونوع الاستعارة «مكنية» وذلك لحذف المشبه به والرمز إليه بشيء من لوازمه.

قرينةُ الاستعارةِ: هي الأمرُ الذي ينصِبُه المتكلمُ دليلاً على أنه أراد باللفظِ غيرَ معناهُ الحقيقيّ .

وهي نوعانِ: لفظيةٌ وغيرلفظيةٍ.

فاللفظيةُ: هي ما دل عليها بلفظٍ يذكَرُ في الكلام ليصرفَه عن معناهُ الحقيقيّ، ويوجهَهُ إلى معناهُ المجازيّ المرادِ على أن يكونَ من ملائماتِ المشبَّه به في الاستعارةِ التصريحيةِ، ومن ملائماتِ المشبَّهِ في الاستعارةِ المكنيةِ

وأما غيرُ اللفظيةِ: فهي التي دُلَّ عليها بأمرٍ خارجٍ عن اللفظِ ، وهذا النوعُ من القرينةِ يسمَّى (قرينةً حاليةً)لأنها أمرٌ عقليٌّ لا يدَلُّ عليه بلفظٍ من الكلامِ ، بل يدَلُّ عليه بالحالِ كقول الحطيئة:

ماذا تَقُولُ لأَفْراخٍ بِذِي مَرَخٍ ❖❖❖ حُمْرِ الحَواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ

أَلْقَيْتَ كاسِيَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَة ❖❖❖ فاغْفِرْ، عليكَ سَلامُ اللّهِ يا عُمَرُ

فكلمةُ أفراخٍ استعارةٌ ، فقد شبَّه الشاعرُ أطفالَه الصغارِ بأفراخِ الطيرِ بجامعِ العجز والحاجةِ إلى الرعايةِ في كلٍّ منهما، ثم استعارَ الأفراخَ على سبيل الاستعارةِ التصريحيةِ الأصليةِ .

الكناية:

لغة: مصدر كنيت بكذا عن كذا إذا تركت التصريح به.

اصطلاحا:

- لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى[1].
- لفظ أريد به غيرُ معناهُ الذي وضع له، مع جواز إرادة المعنى الأصلي، لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته.
- فالكناية إذا إيماء الى المعنى وتلميح، أو هي مخاطبة ذكاء المتلقّي فلا يذكر اللفظ الموضوع للمعنى المقصود ولكن يلجأ إلى مرادفه ليجعله دليلا عليه[2].

ومثال ذلك لفظ «طويل النجاد» المراد به طول القامة مع جواز أن يراد حقيقة طول النجاد أيضا. فالنجاد حمائل السيف، وطول النجاد يستلزم طول القامة، فإذا قيل: فلان طويل النجاد، فالمراد أنّه طويل القامة، فقد استعمل اللفظ في لازم معناه، مع جواز أن يراد بذلك الكلام الإخبار بأنّه طويل حمائل السيف وطويل القامة، أي يراد بطويل النجاد معناه الحقيقي واللازمي.

والكناية من التعابير المشهورة على ألسنة العرب، يلجأون إليها إذا أرادوا أن يتحاشوا التصريح أدبا أو أن في التصريح ما يؤذي المخاطب، ومن أمثلتها: إذا كان الرجل ملولا قيل: هو من بقية قوم موسى، وإذا كان ملحداً، قيل قد عبر (يريدون جسر الإيمان) وإن كان يسيء الأدب في المؤاكلة قبل: تسافر يده على الخوان ويرعى أرض الجيران، ويقال عمن يكثر الاسفار: (فلان) لا يضع العصا على عاتقه – وجاء في القرآن الكريم ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ فإنه كنى عن الغيبة بأكل الإنسان لحم الإنسان، وهذا شديد

[1] إذا أطلق اللفظ، وكان المراد منه غير معناه - فلا يخلو إما: أن يكون معناه الأصلي مقصودا أيضا، ليكون وسيلة إلى المراد وإما: ألا يكون مقصوداً - فالأول - الكناية - والثاني - المجاز، فالكناية: هي أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني: فلا يذكره باللفظ الموضوع له ولكن يجيء إلى معنى هو مرادفه، فيومئ به إلى المعنى الأول، ويجعله دليلا عليه أو الكناية هي اللفظ الدال على ما له صلة بمعناه الوضعي، لقرينة لا تمنع من ارادة الحقيقة، كفلان نقي الثوب، أي مبرأ من العيب.

[2] علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني، د. محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، 2003، ص241.

المناسبة لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه.

ومن أمثال العرب، قولهم:

- لبست لفلان جلد النمر، وجلد الأرقم، كناية عن العداوة.
- فلان بريء الساحة، إذا برَّأُوه من تهمة
- ورحب الذراع، إذا كان كثير المعروف.
- وطويل الباع في الأمر، إذا كان مقتدرا فيه
- وقوى الظهر، إذا كثر ناصروه،

ومثل ذلك: أن رجلا مر في صحن دار (الرشيد) ومعه حزمة خيزران، فقال الرشيد للفضل بن الربيع، ما ذاك فقال (عروق الرماح) يا أمير المؤمنين، وكره أن يقول «الخيزران» لموافقته اسم (والدة الرشيد).

فلان طاهر الثوب، أي منزه عن السيئات، وفلان دنس الثوب أي متلوث بها.

بين الكناية والمجاز.

المجاز هو أن يقصد باللفظ معناه المجازي دون جواز تفسيره على المعنى الحقيقي.

أما الكناية فهي أن يقصد بها المعنى المجازي مع جواز أن يقصد بها المعنى الحقيقي كما رأينا.

مثال: نبت الربيع. هنا لا يمكن إن يكون المقصود المعنى الحقيقي للربيع. فالمعنى المقصود هنا هو المعنى المجازي للربيع (العشب) ففي الجملة إذا مجاز.

مثال: فلان طويل الحزام. الإشارة هنا الى عظم بطن فلان واضحة. وفي المثال نوع من المجاز لأن المعنى تجاوز المعنى الحقيقي (طول الحزام) إلى المعنى المجازي (عظم البطن). فالعبارة هنا تحمل معناها الحقيقي أيضا لأنّ عظيم البطن لا بدّ أن يكون طويل الحزام. وفي هذا القول كناية.

فالكناية إذا تخالف المجاز من جهة إمكان إرادة المعنى الحقيقي مع إرادة لازمة. أما المجاز فلا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي لوجود القرينة المانعة من إرادته.

أقسام الكناية:

إذا عدنا إلى تقسيم علماء البلاغة وجدنا أنّ المطلوب بالكناية عندهم لا يخرج عن ثلاثة أقسام هي: طلب نفس الصفة، وطلب نفس الموصوف، وطلب النسبة.

ومعنى هذا أنّهم يقسمون الكناية باعتبار المكنى عنه: ثلاثة أقسام تتمثل في أنّ المكنى عنه عندهم: قد يكون صفة، وقد يكون موصوفا، وقد يكون نسبة.

كناية عن صفة: وهي التي يطلب بها نفس الصفة، والمراد بالصفة هنا الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها، وهي أن يصرح بالموصوف وبالنسبة، ولا يصرح بالصفة المرادة، بل يذكر مكانها صفة تومئ إليها، وتدل عليها.

1. قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُول يَا لَيْتَنِي اِتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾، إشارة إلى الندم، وذكر اليد فلأن النادم يعضُّ على يديه، ويَضْرِبُ إحداهما بالأخرى تَحَسُّراً، كما قال تعالى أيضا: ﴿فأصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾. فَقد ذكر الموصوف صراحة وهو الظالم، وذكرت النسبة كذلك، وهي نسبة العض إليه، ولكن الصفة المقصودة (الندم) لم تذكر صراحةً بل نراها في إيماءة العض على اليدين، ونتأمل صورة رجل أخذ يعض على يديها، والحالة التي عليها هي سيطرة الندم، والعض على اليدين يومئ بالطبع إلى الندم[1].

2. قال عمر بن أبي ربيعة في صاحبته هند:

نظرت إليها بالمحصّب من منى ❖❖❖ ولي نظر لولا التحرّج عارم

فقلت: أشمس أم مصابيح بيعة ❖❖❖ بدت لك تحت السّجف أم أنت حالم؟

بعيدة مهوى القرط إمّا لنوفل ❖❖❖ أبوها وإمّا عبدّ شمس وهاشمّ[2]

الكناية هنا في البيت الثالث، هي «بعيدة مهوى القرط»، ومهوى القرط المسافة من شحمة الأذن إلى الكتف. فابن أبي ربيعة يصف صاحبته بأنها بعيدة مهوى القرط، وهو بهذه الصفة يريد أن يدل على أن هندا صاحبته «طويلة الجيد». ولهذا عدل عن التصريح بهذه الصفة إلى الكناية عنها، لأن بعد المسافة بين شحمة الأذن والكتف يستلزم طول الجيد.

1. قالت الخنساء في أخيها صخرا:

---

[1] البلاغة البيان والبديع، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية.

[2] ديوان عمر بن أبي ربيعة ص 207، ونظر عارم: خارج عن القصد، والبيعة بكسر الباء: متعبد النصارى، والسجف بكسر السين: الستر، وبعيدة مهوى القرط: كناية عن طول عنقها.

طويل النجاد رفيع العماد ❖❖❖ كثير الرماد إذا ما شتا

فالخنساء في هذا البيت تصف أخاها صخرا بثلاث صفات هي: إنه طويل النجاد، رفيع العماد، كثير الرماد.

وهي بهذه الصفات تريد أن تدل على أن أخاها شجاع، عظيم في قومه، كريم. ولكنها عدلت عن التصريح بهذه

الصفات إلى الكناية عنها، لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادة، ثم إنه يلزم من كونه رفيع العماد أن يكون سيدا عظيم القدر والمكانة في قومه وعشيرته، كما أنه يلزم من كثرة الرماد كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ثم كثرة الضيفان، ثم كثرة الكرم. وهنا أيضا يجوز حمل المعنى على جانب الحقيقة، فمن الجائز بالإضافة إلى المعنى الكنائي أن يكون أخوها حقيقة طويل النجاد، رفيع العماد، كثير الرماد.

فتراكيب الكناية في الأمثلة السابقة هي «بعيدة مهوى القرط» و«كون بسطهم حريرا» و«كون بسطهم ترابا» و«طويل النجاد» و«رفيع العماد» و«كثير الرماد».

ومنه: فلانٌ نظيفُ اليدِ، تكني عن العفةِ والأمانةِ.

ولما كان كل تركيب من هذه التراكيب قد كني به عن صفة لازمة لمعناه، كان كل تركيب من هذه وما يشبهه «كناية عن صفة»، وهي نوعان:

1. **كناية قريبة:** هي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه، والمعنى المنتقل إليه، أي التي لا يحتاج فيها للانتقال من المعنى الحقيقي للكلام الى المعنى المجازي الى أكثر من خطوة واحدة. نحو قول الخنساء في رثاء أخيها صخر: رفيع العماد طويل النجا د سادَ عشيرته أمردا

2. **كناية بعيدة:** هي ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة، أو بوسائط، أي ما يحتاج فيها إلى أكثر من خطوة واحدة للوصول إلى المعنى المجازي المراد من الكلام. نحو «فلان كثير الرماد» كناية عن المضياف، والوسائط: هي الانتقال من كثرة الرّماد إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطبخ والخبز، ومنها إلى كثرة الضيوف، ومنها إلى المطلوب، وهو المضياف الكريم.

كناية عن الموصوف: وهي التي يطلب بها نفس الموصوف والشرط هنا أن تكون الكناية مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه، وذلك ليحصل الانتقال منها إليه.

وهي الكناية التي يستلزم لفظها ذاتا أو مفهوما: نقول مخاطبين أبناء مصر: يا أبناء النيل.
ونقول عن العرب: هم أبناء الضاد كناية عن اللغة العربية.
منه قول الله تعالى في شأن نوح –عليه السلام– وقد عم الطوفان: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ (القمر: 13) فقد كنَّى عن السفينة بكونها ذات ألواح ومسامير، وخصوصية هذه الصفة بالسفينة مما لا يخفَى؛ فالألواح والمسامير خاصة بما يحمل الناس والمتاع على صفحة الماء من فُلك وجوارٍ وسفن، وفي ذكر هذه الصفة إيماء بليغ إلى قدرة الله التي هيأت أسباب طفو الحديد وغيره على الماء بما يُحمَل من الأثقال، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ (الزخرف: 18). ففي قوله تعالى (يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ) أي في الزينة كناية عن موصوف هو البنات.

كناية عن نسبة:

وهي ما صرح فيها بالموصوف وبالصفة ولم يصرح بنسبة الصفة إلى الموصوف، بل يذكر مكانها نسبة أخرى تستلزم نسبتها إليه، ومن روائع هذه الكناية قول أبي نواس يمدح الخصيب أمير مصر وكان قد رحل إليها في عهده:

إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فأي فتًى بعد الخصيب تزور**
فتى يشتري حسن الثناء بماله * ويعلم أن الدائرات تدور**
فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير**

الكناية عن نسبة في البيت الثالث، حيث صرح بالموصوف وهو الخصيب وصرح بالصفة وهي الجود، ولكنه لم يصرح بنسبة الجود إليه وإنما ذكر نسبة أخرى تتطلبها، وهي صيرورة الجود في المكان الذي يصير فيه الممدوح، وهذا يعني أنه غاية في الكرم، ولا يخفَى ما في البيت من خيال بديع، حيث صور الجود في صورة حي متحرك وأنه يلازِم الممدوح أينما حل وكيفما صار[1].

وقوله ﷺ في شأن من يؤذي المسلمين: "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده" فهو كناية عن نسبة هي نفي صفة الإسلام عن المؤذي، وهو غير مذكورة في الكلام. ووجه الكناية فيه أن مدلول الجملة في الحديث الشريف حصر الإسلام فيمن لا يؤذي المسلمين، ولا ينحصر فيه إلا بانتفائه عن المؤذي، فقد أطلق الملزوم، وهو حصر الإسلام فيمن لا يؤذي، وأريد اللازم، وهو انتفاء الإسلام عن المؤذي.

[1] البلاغة 1 - البيان والبديع، بكالوريوس، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، ص262-263

فكناية النسبة تتمثل في العدول عن نسبة الصفة إلى الموصوف مباشرة ونسبتها إلى ما له اتصال به، وأظهر علامة لهذه الكناية أن يصرح فيها بالصفة كما رأينا في الأمثلة السابقة، أو بما يستلزم الصفة.

ومن أمثلتها كذلك قول الشاعر:

اليُمن يتبع ظله *** والمجد يمشي في ركابه

فالشاعر في هذا البيت بدل أن يصف الممدوح بأنه ميمون الطلعة، قال إن اليمن يتبعه أينما سار، واتباع اليمن ظله يستلزم نسبته إليه.

ومن أمثلتها أيضا:

فما جازه جود ولا حل دونه *** ولكن يصير الجود حيث يصير

هذه كناية عن نسبة حيث كنى عن نسبة الجود إلى الممدوح بإثباته للمكان الذي يوجد به، ويحل فيه، فلا يتجاوزه، ولا يحل دونه.

ومن ذلك قول زياد:

إن السماحة والمروءة والنَّدَى *** في قبة ضربت على ابن الحشرج

القبة: هي ما كانت فوق الخيمة من العظم والاتساع، وهي خاصة بالرؤساء والسادة، وابن الحشرج: هذا هو عبد الله بن الحشرج أمير نيسابور، فهنا كنى عن نسبة هذه الصفات إلى ابن الحشرج بجعلها في قبة مضروبة عليه؛ لأن الشيء إذا أثبت في مكان الرجل وحيزه، فقد أثبت له؛ وذلك لاستحالة قيام الوصف بنفسه ووجوب قيامه بموصوف صالح للاتصاف به.

والكنايةُ المطلوبُ بها نسبةٌ نوعانِ:

1. **إمَّا أن يكون ذو النسبة مذكوراً فيها:** كقول الشاعر:

الُيمْنُ يتبعُ ظلَّهُ ***والمجدُ يمشي في ركابه

2. **وإمَّا أن يكونَ ذو النسبة غيرَ مذكور فيها:** كقولكَ: «خيرُ الناس منْ ينفعُ الناسَ»، كناية عن نفي الخيرية عمن لا ينفعُهم. وكقوله ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِى».

ثالثا. علم البديع

تعد علوم البلاغة وسيلة لمعرفة إعجاز القرآن الكريم، فإذا أغفل الإنسان علم البلاغة وأخل بمعرفة قواعدها، لم يستطع أن يدرك سر إعجاز القرآن الكريم، ولم يعرف من أي جهة أعجز الله العرب عن أن يأتوا بسورة واحدة من مثله، وكما أن علوم البلاغة تعد وسيلةً لمعرفة الإعجاز القرآني فإنه لا غنى عنها لمن أراد أن يفهم كتاب الله ويعرف أحكامه، ويتبين حلاله وحرامه غير ذلك من علوم القرآن ومعارف الذكر الحكيم[1].

ومنزلة علم البديع ينبغي أن تتحدد بأمرين:
أولهما: أثر ألوانه وفنونه في قوة الكلام وبلاغته.
وثانيهما: مدخله في الإعجاز القرآني.
فإذا رأينا لهذه الألوان أثرًا في بلاغة الكلام، بحيث إذا فقد الكلام ما حواه من هذه الألوان فقد بلاغته، كان هذا حكمًا على ما ذهب إليه المتأخرون بالبطلان، وثبت لألوان البدي منزلة ومكانة لا تقل منزلة علمي المعاني والبيان ومكانتهما، وبخاصة وقد ثبت أن لهذه الألوان مدخلها في إعجاز القرآن الكريم[2].

نجد أن فنون البديع لا تقل شيئًا في إظهار روعة القرآن وسر فصاحته وبلاغته عن مسائل علمي المعاني والبيان، وأن ألوان البديع يستدل بها على إعجاز القرآن الكريم، كما يستدل على إعجازه بمسائل التقديم والتأخير والحذف والتشبيه والاستعارة، وما إلى ذلك من مسائل العلمَين المعاني والبيان.

ولنأخذ بعض الأمثلة على ذلك؛ ليتضح لنا مدى أهمية البديع في فهم كلام الله –عز وجل– وفي الطباق مثلًا في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: 26) تجد الآية قابلت بيت: (تُؤْتِي)، و(تَنْزِعُ) وبين: (تُعِزُّ)، و(تُذِلُّ)، وإذا عرفنا أن

[1] البلاغة 1 - البيان والبديع، بكالوريوس، مناهج جامعة المدينة العالمية جامعة المدينة العالمية، ص319
[2] البلاغة 1 - البيان والبديع، بكالوريوس، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص323

الغرض من الآية هو تصوير القدرة في أوسع معانيها وبيان السلطان في أشمل مظاهره وأكملها، فإننا ندرك أن هذا الغرض لا يتم إلا بالجمع بين الضدين والحكم بأنه يقدر سبحانه على الأمرين معًا: الإيتاء أو ما في معناه، والنزع أو ما في معناه. وكذلك الإعزاز والإذلال بشتى وجوههما.

والأمثلة القرآنية المشتملة على ألوان البديع أكثر من أن يتسع لها هذا المقام، هي كثيرة ومبثوثة في أساليب القرآن وآياته، وكلها تشهد بأن حسنها ذاتي، داخل في صميم البلاغة، ودال على عظمة القرآن وإعجازه.

ومما سبق يتضح لنا إذن –بما لا يدع مجالًا للشك– أن علم البديع لا يقل منزلةً وشأنًا عن العلمين الآخرين "المعاني والبيان"، فإن مدخله في بلاغة الكلام وقوته وإعجاز القرآن الكريم وسرّ عظمته، جعل له من الفضل والمزية ما لهما، وقد ذهب البعض إلى أن البديع كان اسمًا لكل فنون البلاغة من عناصر الجمال التي تميز الأدب من غيره، وهذا إمام البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني لا يرى البديع إلا وصفًا للبلاغة بمعناها العام، فنراه يقول: «وأما التطبيق والاستعارة وسائر أنواع البديع...» وإذا كان من فرق بين مسائل البديع ومسائل كل من المعاني والبيان، فمن حيث طبيعة هذه الألوان وتلك، فإن ألوان البديع لا ارتباط بينها، فلا تعلق للون منها بالآخر، وعلى عكس ذلك مسائل المعاني والبيان التي نجدها مترابطة متشابكة يتعلق بعضها بالبعض الآخر[1].

يقول الدكتور أبو موسى: لا تحتاج ألوان البديع إلى ما تحتاج إليه فنون البيان من الدراسة والتحليل، فكل لون منها مستقلّ عن صاحبه، فدراسة الجناس غير مرتبطة بدراسة الطباق، ودراسة المشاكلة غير مرتبطة بدراسة السجع، فليس فنّ منها مبنيًّا على فن، وليس فن منها قسيمًا لفن، وذلك بخلاف ألوان البيان التي نجدها متشابكةً، فالاستعارة مبنية على التشبيه؛ فالتمثيل قِسمٌ من التشبيه، والمجاز منه مجاز في الكلمة، ومنه مجاز في الحكم، والمجاز في

[1] البلاغة 1 - البيان والبديع، بكالوريوس، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص332

الكلمة ينقسم إلى مجاز مرسل واستعارة، والكناية أخت للمجاز، وغير ذلك من الروابط التي بين هذه الفنون التي يتفرع بعضها عن بعض، ويستلزم بعضها بعضًا[1].

البديع لغة: الجديد المخترع لا على مثال سابق ولا احتذاء متقدم، تقول: بدع الشيء وأبدعه، فهو مبدع، وفي التنزيل: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾.

واصطلاحا: علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسنا وقبولا بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال التي يورد فيها ووضوح الدلالة على ما عرفت في العلمين السالفين المعاني والبيان.

"واضعه" أول من دون قواعده ووضع أصوله عبد الله بن المعتز العباسي المتوفى سنة 274هـ، فقد استقصى ما في الشعر من المحسنات وألف كتابا ترجمه باسم "البديع" ذكر فيه سبعة عشر نوعا وقال: "ما جمع قبلي فنون البديع أحد ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف ومن رأى إضافة شيء من المحاسن إليه فله اختياره".

ثم ألف معاصره جعفر بن قدامة كتابا سماه "نقد قدامة" ذكر فيه ثلاثة عشر نوعا زيادة على ما أملاه ابن المعتز.

ثم جاءت التآليف تترى، فألف فيه أبو هلال العسكري وجمع سبعة وثلاثين نوعا، ثم ابن رشيق القيرواني فجمع مثلها في كتاب "العمدة" ثم جاء شرف الدين النيفاشي فبلغ بها السبعين، ثم استمر التأليف في البديع، فنظمت القصائد وتوالت الشروحات.

أقسام المحسنات:

تنقسم المحسنات إلى قسمين:

1. محسنات معنوية، وهي التي يكون التحسين بها راجعا إلى المعنى أولا وبالذات، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضا كالطباق بين يُسرُّ ويُعْلِن في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾، وعلامتها أنه لو غير اللفظ بما يرادفه فقيل مثله: يعلم ما يخفون وما يظهرون، لم يتغير المحسن المذكور.
2. محسنات لفظية، وهي التي يكون التحسين بها راجعا إلى اللفظ أصالة وإن حسنت المعنى أحيانا تبعا، كالجناس في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا

[1] البلاغة القرآنية عند الزمخشري، محمد أبو موسى

لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾، فالساعة الأولى يوم القيامة والساعة الثانية واحدة الساعات الزمنية، وعلامتها أنه لو غير اللفظ الثاني إلى ما يرادفه زال ذلك المحسن، فلو قيل: ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا إلا قليلا، لضاع ذلك الحسن.

والبلاغيون حين قسموا المحسنات البديعية إلى: محسنات معنوية، ومحسنات لفظية، وفرقوا بينهما بأن المحسن المعنوي: ما كان التحسين فيه راجعًا إلى المعنى أولًا وبالذات، واللفظي: ما كان التحسين فيه راجعًا إلى اللفظ أولًا وبالذات، وضعوا ضابطًا يفرقون به بين النوعين، فضابط المعنوي أنك إذا غيرتَ بعض الألفاظ الدالة عليه بمَا يرادفه لا يتخلف التحسين، وضابط اللفظي على عكس ذلك، فلو غيرتَ اللفظ بما يرادفه لذهب التحسين واختفى المحسِن. غير أن جمهور البلاغيين احترسوا لهذا الفرق، وقالوا: إن التحسين في المعنوي وإن كان راجعًا إلى المعنى أولًا وبالذات، إلا أن هناك تحسينًا يرجع إلى اللفظ وإن كان عَرَضيًّا، وكذا المحسن اللفظي، فبالرغم من أن التحسين راجع فيه إلى اللفظ إلا أن المعنى أيضًا يناله بعض التحسين، فالجناس وإن كان محسنًا لفظيًّا إلا أن التحسين فيه يتعدَّى اللفظ والجرس إلى المعنى[1].

أولا. الطباق: فما يلي شرح مبسط للطباق من كتاب " البلاغة 1 - البيان والبديع"، يمكن الاحتفاظ به في مشروع السند البداغوجي.

يسمى المطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ: من المحسنات المعنوية.

الطباق لغة: أو المطابقة كلاهما مصدر للفعل طابَق، يقال: طابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذوٍ واحد، وألزقتهما، وطابق بين قميصين: لبس أحدهما على الآخر، وطابق الفرس في جريه: إذا وضع رجله في موضع يده، السموات الطباق: التي بعضها فوق بعض وفي التنزيل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾[2]، فالمادة إذن تدور حول الموافقة والمساواة والمناسبة.

والتضاد: تفاعل من ضاد الشيء الشيء أو ضدّه في الخصومة، أي: خالفه فهما متضادان، وضد الشيء خلافه والجمع أضداد.

[1] البلاغة 1 - البيان والبديع، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص491

[2] سورة الملك: 03

اصطلاحا: أن تجمع في الكلام الواحد بين معنيين متقابلين في الجملة. والمراد بالتقابل عند البلاغيين: أن يكون بين المعنيين مطلق تنافي دونما نظر إلى نوع هذا التنافي أو مقداره، وهو قيد في الجملة، وقد أفاد التقييد بهذا القيد أمرين هامين:

أولهما: ألا يشغل الدارسون بالهم بتعيين مقدار التنافي بين المعنيين، كتحديد نوع العلاقة بينهما، سواء كانت بالتضاد أو التناقض أو غيرهما، إذ يكفي التنافي في الجملة؛ ليتحقق بين المعنيين مفهوم المطابقة.

ثانيهما: أن هذا القيد جعل التطابق والتنافي بين المعنيين يكفي أن يكون في بعض الصور، فمن المعلوم أن المتقابلين في بعض الصور إنما يعني التنافي بينهما باعتبار ذلك البعض من الصور، أما باقي الصور فلا يُنظر إليها؛ لعدم الحاجة إليها في تحقيق المطابقة بين المعنيين.

ومن أهم أنواع التقابل:

1. **التقابل الحقيقي:** كتقابل الأمرين اللذين بينهما غاية الخلاف لذاتيهما كتقابل القِدم والحدوث، فلو جمع بين هذين المعنيين، كان الكلام مشتملًا على المطابقة، وكذلك مقابلة الإحسان بالإساءة في قول الشاعر:

يجزون من ظلم آل الظلم مغفرةً *** ومن إساءة أهل السوء إحسانا

فالإساءة والإحسان معنيان بينهما غاية الخلاف لذاتيهما، فكان تقابلهما تقابلًا حقيقيًّا.

2. **التقابل الاعتباري:** كتقابل الإحياء والإماتة، فليس بين الإحياء والإماتة تقابل حقيقي، لأنهما لا يتقابلان إلا باعتبار بعض الصور، وهو أن يتعلق الإحياء بحياة جِرم في وقت، والإماتة بإماتته في ذلك الوقت، وإلا فلا تقابل بينهما باعتبار أنفسهما، ولا باعتبار التعلق عند تعدد الوقت، ومع ذلك فوجود هذا النوع من التقابل كافٍ في تحقيق المطابقة متى وُجد؛ لذا نراه في قوله: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[1].

3. **التقابل بالتضاد:** كتقابل البياض والسواد على الجرم الواحد الموجود بِناءً على أنهما وجوديان، وذلك كقوله:

فالوجه مثل الصبح مبيضٌّ *** والفرع مثل الليل مسودٌّ

ضدان لما استجمعَا حسُنَا *** والضد يظهر حسنه الضدُّ

[1] سورة الأنعام: 122

فالتقابل بين البياض والسواد في البيت حقق المطابقة بينهما.

4. تقابل الإيجاب والسلب: كتقابل مطلق الوجود وسلبه، كالذي نراه في قوله تعالى مثلًا: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُون * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1]، فهذه الآية ليس فيها تقابل على الحقيقة بين العلم المنفي والعلم المثبت، ولكن بينهما تقابل في الجملة إذا أُخِذَا على الإطلاق.

5. تقابل العدم والمِلك: كتقابل العمَى والبصر، والقدرة والعجز بناء، على أن العجز نفي للقدرة عمن من شأنه الاتصاف بالقدرة وعليه قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾[2] فالأعمى والبصير بينهما مطابقة؛ لأنهما متقابلان أو متنافيان؛ لتنافي العمى والبصر.

6. تقابل التضايف: كتقابل الأبوة والبنوة، وقيل: إن الجمع بين الأبوة والبنوة من باب مراعاة النظير وليس طباقًا، ورُدَّ: بأن مراعاة النظير يكون فيما لا تنافي فيه كالشمس والقمر، بخلاف ما فيه التنافي كالأبوة والبنوة، ونجد هذا النوع الذي تحقق به المطابقة في قوله تعالى: ﴿آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾[3].

وعلى الجملة، فإن التقابل يشمل كل ما يشعر بالتنافي لاشتماله بوجه ما على ما يوجب التنافي، وكذلك، فإن مادة المطابقة إذا كانت تدور في لغة العرب حول الموافقة والمساواة، فإن المتكلم المطابق في كلامه يوافق بين المعنيين المتقابلين، ويسوي بينهما.

صور الطباق: يأتي الطباق في الكلام على أربع صور:

1. **الصورة الأولى: أن يكون بين اثنين:** كما في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُود﴾[4]، وقوله –عز وجل–: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾[5]، ومنه قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: «فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة للكبر،

[1] سورة الروم: 06-07
[2] سورة الرعد: 16
[3] سورة النساء: 11
[4] سورة الكهف: 18
[5] سورة فاطر: 19-22

ومن الحياة للموت، فو الذي نفس محمد بيده، ما بعد الموت بمستعتب، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار». ومنه قول امرئ قيس:

مكر مفر مقبل مدبر معًا كجلمود *** صخر حطه السيل من علٍ

2. **الصورة الثانية: أن يكون بين فعلين:** كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾[1]، وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾[2]، ومنه قول النبي ﷺ للأنصار: «إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع»، ومنه قول الحماسي:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد *** لنفسي حياةً مثل أن أتقدم

وقول الآخر:

فإن ساءني أن نِلتني بمساءة *** لقد سرني أني خطرتُ ببالك

3. **الصورة الثالثة: أن يكون الطباق بين حرفين:** كما في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[3]، وقوله -عز وجل-: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[4]، وقوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[5].

ومن التطابق في الحروف قول مجنون ليلى:

على أنني راض بأن أحمل الهوى *** وأخلص منه لا عليّ ولا ليَ

4. **الصورة الرابعة: أن يكون بين اسم وفعل:** كما في قول الله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاه﴾[6]، وقوله -عز وجل-: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾[7].

الطباق بين الحقيقةالمجاز: هذا والطباق كما يكون بألفاظ استعملت في معانيها الحقيقية، يكون كذلك بألفاظ استعملت في معانٍ مجازية، وحينئذٍ يكون الطباق في كلا المعنيين الحقيقي غير المراد والمجازي المراد، كما مر بنا في الآية الكريمة: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا

[1] سورة النجم 43، 44
[2] سورة آل عمران: 26
[3] سورة البقرة: 286
[4] سورة البقرة: 228
[5] سورة سبأ: 24
[6] سورة الأنعام: 122
[7] سورة البقرة: 260

فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ أي: ضالًّا فهديناه، فالمعنيان الحقيقيان وهما الموت والحياة متضادان، والمعنيان المجازيان وهما الضلال والهدى متضادان أيضًا، ومنه أيضًا قول الآخر:

وقد أحيا المكارم بعد موت *** وشاد بناءها بعد انهدام

إذ المراد: لو أكثر العطاء في وقت قل فيه العطاء، فبين الإحياء والموت وبين التشييد والانهدام طباقٌ في معانيها الحقيقية والمجازية على حد سواء، أما إذا كان الطباق بين المعاني الحقيقية فقط دون المجازية المرادة، فيُسمى إيهام التضاد.

أقسام الطباق من حيث الإيجاب والسلب:

طباق الإيجاب يكون بين المعنيين المتضادين سواء كانا مثبتين أو منفيين.

أما طباق السلب فقد عرّفه أبو هلال العسكري بقوله: هو أن نبني الكلام على نفي الشيء من جهة وإثباته من جهة أخرى، أو على الأمر من جهة والنهي عنه من جهة أخرى، وما يجري مجرى ذلك، ومثال الإثبات والنفي بقوله سبحانه: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1] ومثال الأمر والنهي بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[3]، وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[5].

ومن شواهد طباق السلب في الأسماء قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾[6]، فهنا أمومة مثبتة وأمومة منفية، ومنه قوله –عز وجل–: ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾[8]، وقوله –عز وجل–: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى﴾[9].

ومن الطباق في الأسماء قول النابغة:

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت *** العجاج وأخرى تعلق اللجم

---

1 سورة الروم: 06-07

2 سورة البقرة: 150

3 سورة الإسراء: 23

4 سورة الزمر: 09

5 سورة الأنفال: 17

6 سورة المجادلة: 02

7 سورة الرعد: 04

8 سورة الحج: 05

9 سورة الحج : 02

ولا يقتصر طباق السلب على الأسماء والأفعال، بل له شواهده في الحروف والظروف، من ذلك ما ذكره المبرد، قال رجل لأبي بكر الصديق –رحمه الله–: لأشتمنك شتماً يدخل معك في قبرك، قال: معك والله يدخل، لامعي[1].

ولا يتوقف الأمر في طباق السلب على ما سبق، ولكنه في الحقيقة يمتد ليشمل الجمع بين الأفعال والأسماء إذا صيغتَا من مادة واحدة، وكان أحدهما مثبتًا والآخر منفيًّا، كم ذلك قول جرير:

أتصحو بل فؤادك غير صاح *** عشيةَ همَّ صحبكَ بالرواحِ

ومثله كذلك قول الله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾[2].

أولا. الطباق:

أسماؤه: أطلقت عليه أسماء عديدة منها: التطبيق، والطباق، والتضاد، والمطابقة، والتكافؤ.

تعريفه:

لغة: قال الخليل: «طابقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حذو واحد وألزقتهما»[3].

وجاء في اللسان: «تطابق الشيئان: تساويا. والمطابقة: الموافقة. والتطابق: الاتفاق. وطابقت بين الشيئين: إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما ... والمطابقة: المشي في القيد.

والمطابقة: أن يضع الفرس رجله في موضع يده. ومطابقة الفرس في جريه: وضع رجليه مواضع قدميه»[4].

اصطلاحا: جاء في معجم المصطلحات[5]: «هو الجمع بين الضّدين أو المعنيين المتقابلين في الجملة».

وجاء في الإيضاح: «هو الجمع بين المتضادّين، أي معنيين متقابلين في الجملة»[6].

صور الطباق: المطابقة أو الطباق ضربان: ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة، وضرب يأتي بألفاظ المجاز.

---

1 الكامل في اللغة والأدب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، : دار الفكر العربي – القاهرة، ط3: 1417 هـ، ج3 ص61

2 سورة الرعد: 14

3 كتاب العين، الخليل بن أحمد، تحق مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي 5/ 109

4 لسان العرب، ابن منظور، مادة (طبق)

5 معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة- المهندس، ص 130.

6 الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص 477.

الطباق الحقيقي: يأتي بألفاظ الحقيقة ويسمى أيضا المطابقة أو الطباق، وهو ما كان طرفاه لفظين متضادين في الحقيقة ويكونان:

أ- اسمين: كما في قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقاظاً وَهُمْ رُقُودٌ﴾ (الكهف: 18) وقوله تعالى أيضا: ﴿وَما يَسْتَوِي الْأَعْمى وَالْبَصِيرُ، وَلَا الظُّلُماتُ وَلَا النُّورُ، وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ، وَما يَسْتَوِي الْأَحْياءُ وَلَا الْأَمْواتُ﴾

ب- فعلين: كقوله تعالى: ﴿وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكى وَ أَنَّهُ هُوَ أَماتَ وَأَحْيا﴾ النجم: 43 - 44.

ج- حرفين: كقوله تعالى: ﴿... وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ البقرة: 228.

ومنه قول النبي ﷺ: «فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة للكبر، ومن الحياة للموت، فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الحياة مستعتب، ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة والنار».

وقول الشاعر:

لئن ساءني إن نلتني بمساءة * لقد سرني أني خطرت ببالك**

الطباق المجازي: يأتي بألفاظ المجاز ويسميه بعض البلاغيين «التكافؤ»، كقوله تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ أي: ضالًّا فهديناه، فالمعنيان الحقيقيان وهما الموت والحياة متضادان، والمعنيان المجازيان وهما الضلال والهدى متضادان أيضًا، وقول الشاعر:

حلو الشمائل وهو مر باسل * يحمي الذمار صبيحة الإرهاق**

فقوله «حلو ومر» يجري مجرى الاستعارة، إذ ليس في الإنسان ولا في شمائله ما يذاق بحاسة الذوق.

ومنه أيضا قول الشاعر:

إذا نحن سرنا بين شرق ومغرب * تحرك يقظان التراب ونائمه**

فالمطابقة هي بين «اليقظان والنائم»، ونسبتهما إلى التراب على سبيل المجاز.

أنواع الطباق: الطباق نوعان طباق إيجاب وطباق سلب.

1. طباق الإيجاب: هي ما صرّح فيها بإظهار الضدين، أو هي ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا[1].

1 علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ص79

ومن أمثلتهما سبق الإشارة إليه سواء ما تعلق منها بالطباق الحقيقي أو المجازي، ويضاف إليها كذلك قوله تعالى: ﴿فَأُوْلئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ﴾، وقوله أيضا: ﴿باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ﴾.

ومنه شعرا قول امرئ القيس:

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل**

ومنه من الأقوال المأثورة: «غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله» و«كدر الجماعة خير من صفو الفرقة».

2. طباق السلب: ما لم يصرح فيهه بإظهار الضدين، أو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾، فالمطابقة هنا هي في الجمع بين «يعلمون ولا يعلمون» وهي حاصلة بإيجاب العلم ونفيه، لأنهما ضدان[1].

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ ما فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ ما فِي نَفْسِكَ﴾ (المائدة: 116)، فالفعل (علم) جاء مثبتا مرة ومنفيا مرة أخرى. وقد يكون طرفاه أمرا ونهيا كما في قوله تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ (المائدة: 44) فالطرف الأول نهي (لا تخشوا)، والطرف الثاني أمر (اخشون)، ومن المستحسن في ذلك قول بعضهم:

خلقوا وما خلقوا لمكرمة * فكأنهم خلقوا وما خلقوا**
رزقوا وما رزقوا سماح يد * فكأنهم رزقوا وما رزقوا**

3. إيهام التضاد: وهو أن يوهم لفظ الضد أنه ضد مع أنه ليس بضد، كقول الشاعر:

يبدي وشاحا أبيضا من سيبه * والجو قد لبس الوشاح الأغبرا**

فإن «الأغبر» ليس بضد «الأبيض» وإنما يوهم بلفظه أنه ضده.

لا تعجبي يا سلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى**

ضحك المشيب برأسه ظهور الشيب ظهورا تاما ولا تقابل بين البكاء وظهور الشيب (المجازي). لكن الضحك بمعناه الحقيقي مضاد للبكاء[2].

بلاغة الطباق و أثره:

1 علم البديع، عبد العزيزعتيق، ص80

2 علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني، د. محمد أحمد قاسم، د. محي الدين ديب، ص69

الجمع بين المتقابلين من الأمور الفطرية المبثوثة في الطباع، ولها تعلق وثيق ببلاغة الكلام وأثره في النفوس، فما جاء طباق في الكلام إلا وتعلق به غرض من الأغراض.

وللطباق مدخل في بلاغة أساليب المعاني والبيان وأثرًا قويًّا في قوتها، وأن فقدانه يخل بهذه الأساليب ولا يجعلها مستقيمة، فلنتأمل مثلًا قول الفرزدق:

لَعنَ الإله بني كليب إنهم * لا يغدرون ولا يفون لجار**
يستيقظون على نهيق حمارهم * وتنام أعينهم عن الأوتار**

أراد الشاعر الحط من شأن القوم والكشف عن ذلهم وهوانهم وأن أفعالهم مثيرة للسخرية والاستهزاء، وقد حقق له الطباق ما أراد، ولولا الطباق ما استطاع الشاعر أن يكشف عن غرضه، فهؤلاء القوم عاجزون والعاجز عادةً لا يقدر أن يفعل الشيء وضده، وهم إزاء جارهم لا يقدرون على الوفاء له أو الغدر به، كما كان ذِكْر الأمرين المتناقضين في البيت الثاني دليلًا على هوانهم:

يستيقظون على نهيق حمارهم * وتنام أعينهم عن الأوتار**

فهذا دليل على هوانهم، وأنهم موضع السخرية، وهم يستيقظون منزعجين إذا نهق حمارهم؛ حذرًا أن يكون هناك لص يأخذ بعض متاعهم؛ لأنهم يخافون عليها خوفًا شديدًا، بينما هم لا يبالون بكرامتهم أن تُنتهك، فأعينهم نائمة عن الثأر لا يعنيهم أن يأخذوا به وفي ذلك أكبر دليل على هوانهم.

وفضلًا عن هذا فإن الجمع بين الشيء وضده يُضفي على الكلام رونقًا وبهاءً، ويُكسب المعنى حسنًا ونُبلًا، وهو فوق تثبته المعنى في النفس يصف الشيء المتحدث عنه إزاء الضدين المتقابلين، ويجعل لكلٍّ منهما حسنًا لا يكون لهما إذا انفردَا، وهذا هو معنى قول القائل:

فالوجه مثل الصبح مبيض * والفرع مثل الليل مسود**
ضدان لما استجمعا حسُنا * والضد يظهر حسنه الضد**

وما من ريب في أن الجمع بين الأمور المتضادة يكسو الكلام جمالًا ويزيده بهاءً ورونقًا، ولهذا كانت وظيفة الطباق لا تتوقف عند هذا الزخرف وتلك الزينة الشكلية،

بل تتعداها إلى غايات أسمى، فلا بد أن يكون هناك معنى لطيف ومغزى دقيق وراء جمع الضدين في إطار واحد، وإلا كان هذا الجمع عبثًا وضربًا من الهذيان، ولننظر في قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَلِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِه﴾ (القصص: 73)، وقد جمعت الآية الكريمة بين الليل والنهار وهما نعمتان من نعم الله على عباده، ورحمة منه –عز وجل– بهم، ثم ذُكرت العلة من جعل الزمان ليلًا ونهارًا لنسكن ليلًا ونسعى ونتحرك نهارًا.

بهذا قد اتضح أن الطباق ليس قاصرًا على الزينة والزخرف، وليس الهدف منه مجرد التزويق الشكلي، بل إنه ليتجاوز ذلك إلى أهداف أسمى وغايات لا تتناهى.

ثانيا. المقابلة:

أكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة، فهي «إذا إيراد الكلام ثم مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة»، نحو قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنا مَكْراً﴾، فالمكر من الله تعالى العذاب، جعله الله عز وجل مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته.

وعرفها القزويني بقوله: «هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب»[1].

والبلاغيون مختلفون في أمر المقابلة، فمنهم من يجعلها نوعا من الطباق ويدخلها في إيهام التضاد، ومنهم من جعلها نوعا مستقلا من أنواع البديع، وهذا هو الأصح، لأن المقابلة أعم من المطابقة.

وصحة المقابلات تتمثل في اختيار المتكلم من الكلام ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول،

[1] الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص 485

والثاني بالثاني، لا يخرم من ذلك شيئا في المخالف والموافق، ومتى أخل بالترتيب كانت المقابلة فاسدة.

الفرق بين المطابقة والمقابلة:

الفرق بين المطابقة والمقابلة يأتي من وجهين:

1. أحدهما أن المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين ضدين، أما المقابلة فتكون غالبا بالجمع بين أربعة أضداد: ضدان في صدر الكلام وضدان في عجزه. وقد تصل المقابلة إلى الجمع بين عشرة أضداد: خمسة في الصدر وخمسة في العجز.
2. والثاني: أن المطابقة لا تكون إلا بالأضداد، على حين تكون المقابلة بالأضداد وغير الأضداد، ولكنها بالأضداد تكون أعلى رتبة وأعظم موقعا، نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾، فتأمل مجيء الليل والنهار في صدر الكلام وهما ضدان، ثم قابلهما بضدين: هما السكون والحركة على الترتيب، ثم عبر عن الحركة بلفظ مرادف فاكتسب الكلام بذلك ضربا من المحاسن زائدا عن المقابلة؛ ذلك أنه عدل عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل، لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة، وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة.

ومن أمثلة هذا النوع أيضا قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾، فقد أتى في كل صدر الكلام وعجزه بضدين، ثم قابل الضدين في صدر الكلام بضدين لهما في العجز على الترتيب.

صور المقابلة:

1. مقابلة اثنين باثنين: كقوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيراً﴾ (التوبة: 82)
2. مقابلة ثلاثة بثلاثة: ومثالها قول المتنبي: (الطويل)

فلا الجود يفني المال والجدّ مقبل * ولا البخل يبقي المال والجدّ مدبر**

وكقوله تعالى: ﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبائِثَ﴾ (الأعراف: 157)

في الآية مقابلتان الأولى: يأمرهم والباء والمعروف في مقابل: ينهاهم وعن والمنكر والثانية: يحل ولهم والطيبات في مقابل: يحرّم وعليهم والخبائث، قال الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعَا * وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل**

3. مقابلة أربعة بأربعة: ومثالها قول جرير: (الطويل)

وباسط خير فيكم بيمينه * وقابض شرّ عنكم بشماله**

وقوله تعالى: ﴿**فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى**﴾ (الليل: 5 – 10)

4. مقابلة خمسة بخمسة: ومثالها قول صفيّ الدين الحلّي (البسيط)

كان الرضا بدنوّي من خواطرهم * فصار سخطي لبعدي عن جوارهم**

5. مقابلة ستة بستة: ومثاله قول شرف الدين الأربلي (الطويل):

على رأس عبد تاج عزّ يزينه ... وفي رجل حرّ قيد ذلّ يشينه

بلاغة المقابلة وأثرها: ما قيل في بلاغة الطباق وأثره في تزيين الكلام يقال نفسه في شأن المقابلة، لأنها قائمة على الجمع بين المتقابلين، وعلة الحسن في الطباق قائمة على الجمع بين الضدين وهي نفس العلة التي تقوم عليها المقابلة، وهذا يضفي على الكلام بهاءً وحُسنًا، ويحمل لكل من المتقابلين حسنًا لا يكون له إذا جاء وحده.

والمقابلة في القرآن الكريم جاءت في أعلى درجات الإعجاز البلاغي، منها قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**﴾ (الأنعام: 125)، قابلت الآية بين الهداية وشرح الصدر، وبين الضلال وضيق الصدر، والآية تعزية وتسلية لرسول الله ﷺ لما يلاقيه من عناد الكفار وغرورهم، فهي إخبار من الله لرسوله ألا يهتم بأمرهم ولا يحزن عليهم، فالأمر كله لله، فمن أراد هدايته للحق وتوفيقه للخير فإنه يشرح للإسلام صدره، ويوسّع للقرآن قلبه، فعند ذلك يستنير الإسلام في قلبه ويتسع له صدره.

ومن جيد المقابلة ما جاء منها في حديث الرسول ﷺ وقد مر بنا بعض أمثلته؛ من ذلك قوله ﷺ: «تعِس عبد الدينار وعبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن منع سخط، تعس وإذا شيك فلا انتقش» فقد قابل في الحديث بين: ((أعطى)) و((رضي)) من جانب، وبين: ((منع)) و((سخط)) من جانب آخر، فجاءت المقابلة رائعة خلابة.

ومنه كذلك قول الشاعر:

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه * فلا تترك التقوى اتكالًا على النسب**

فقد رفع الإسلام سلمان فارسًا * وقد حط بالشرك النسيب أبو لهب**

حيث قابل بين رفع الإسلام وسلمان الفارسي من جهة، وبين حط الشرك وأبي لهب من جهة ثانية، فجاءت مقابلته جميلة رائعة.

ثانيا. الجناس:

تعريف الجناس: ويسمى أيضا "التجنيس".

لغة: المشاكلة، والاتحاد في الجنس، يقال لغة: جانسه، إذا شاكله، وإذا اشترك معه في جنسه، وجنس الشيء أصله الذي اشتق منه، وتفرع عنه، واتحد معه في صفاته العظمى التي تقوم ذاته[1].

اصطلاحا: يعرف الجناس عند القدامى بأنه: «اتحاد طرفيه أو تشابههما في الصورة والتلفظ مع اختلاف المعنى فيهما»[2]، وابن الأثير يرى: «بأنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى».

وهو فن بديع في اختيار الألفاظ التي توهم في البدء التكرير، لكنها تفاجئ بالتأسيس واختلاف المعنى.

ويشترط فيه أن لا يكون متكلفا، ولا مستكرها استكراها، وأن يكون مستعذبا عند ذوي الحس الأدبي المرهف، وقد نفر من تصنعه وتكلفه كبار الأدباء والنقاد[3]، قال "ابن رشيق" في كتابه: "العمدة": «التجنيس من أنواع الفراغ، وقلة الفائدة، ومما لا يشك في تكلفه، وقد أكثر منه الساقة المتعقبون في نظمهم ونثرهم، حتى برد ورك»[4].

ومن الجناس ما هو حسن، ومنه ما هو قبيح، شأن كل لون بديعي، فيجيء الجناس حسنًا رائعًا إذا قصد إلى غاية تخدم غرضَ المتكلم، كأن يخدعه عن حقيقة ما أراد وقد أعطاها له، أو يوهمه بأنه يكرر لفظًا دون فائدة، مع أن الفائدة محققة، أو يجعله يظن أنه لم يزده شيئًا مع أنه أحسن الزيادة ووفاها حقها من السماحة والقبول. كما أن الجناس يحسن ويلطف إذا كان موقع اللفظين من العقل موقعًا حميدًا، وكانت المناسبة بينهما واضحةً قريبةً، ولا تعقيدَ فيها ولا التواء. أما إذا لم يكن تحت الجناس فائدة ولم يكن ثَمة غرض يرمي إليه المتكلم،

---

[1] البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، ج2 ص485

[2] البلاغة 1 - البيان والبديع، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص488

[3] البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، ج2 ص485

[4] العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، ج1 ص329

اقتصر الأمر على تكرير الكلمات والحروف دون قصد يخدم غرضه، فإن الجناس يأتي سمجًا مرذولًا. كما أن الجناس يجيء غَثًّا قبيحًا إذا لم يقع موقعًا حسنًا من الكلام، أو كانت المناسبة بين اللفظين فيها نوع التواء، أو عدم وضوح. يقول الإمام عبد القاهر: "إنك لا تستحسن تجانسَ اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعًا حميدًا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمًى بعيدًا، أتراكَ استضعفتَ تجنيس أبي تمام في قوله:

ذهبت بمذهبه السماحة فالْتَوَتْ * فيه الظنون أَمَذهب أم مُذهب**

واستحسنت تجنيس القائل:

حتى نَجَا من خوفه وما نجا ... .

وقول المحْدث:

ناظراه فيما جنى ناظراه * أو دعاني أمُتْ بما أودعاني**

لأمر يرجع إلى اللفظ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول وقويت في الثاني؟ ورأيتك لم يزدك بـ"مذهب" و"مُذهب" إلا أن أسمعك حروفًا مكررة تروم لها فائدةً فلا تجدها إلا مجهولة منكرة، ورأيت الآخرَ قد أعاد عليك اللفظةَ كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفَّاها، فبهذه السريرة صار التجنيس –وخصوصًا المستوفَى منه المتفق في الصورة– من حُلي الشعر، ومذكورًا في أقسام البديع"

أنواع الجناس وفروعها: قسم علماء البديع الجناس إلى ستة أنواع ذوات فروع:

النوع الأول: "الجناس التام": وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور:

1. **في نوع الحروف.**
2. **وفي هيئتها (أي: في حركاتها وسكناتها).**
3. **وفي عددها.**
4. **وفي ترتيبها.**

مثل: "يحيا" فعلا مضارعا مصدره الحياة، و"يحيى" اسما علما للإنسان، ومثل: "جنى" بمعنى ارتكب جناية، و"جنى" بمعنى قطف ثمرة من شجرتها.

أقسام الجناس التام: قسم علماء البلاغة الجناس التام إلى خمسة أقسام:

أ. **المماثل:** هو الجناس التام الذي يكون اللفظان المتشابهان فيه من نوع واحد من أنواع الكلام، كاسمين، أو فعلين، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿**ويوم تقوم الساعة يقسم**

المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾ (الروم: 55)، وقول أبي نواس يمدح عباس بن فضل الأنصاري الذي ولي قضاء الموصل في عهد الرشيد، ويمدح الفضل بن الربيع بن يونس وزير الرشيد، ثم وزير الأمين، ويمدح الربيع بن يونس، وزير المنصور العباسي، في بيت واحد:

عباس عباس إذا احتدم الوغى * والفضل فضل، والربيع ربيع**

ب. **المستوفى:** هو الجناس التام الذي يكون اللفظان المتشابهان فيه من نوعين مختلفين من أنواع الكلام، كأن يكون أحدهما اسما والآخر فعلا، ومن أمثلته قول أبي تمام:

ما مات من كرم الزمان فإنه * يحيا لدى يحيى بن عبد الله**

ت. **المتشابه:** هو الجناس التام الذي يكون أحد اللفظين المتشابهين فيه مركبا من كلمتين فأكثر مع اتفاقهما في الخط، ومن أمثلته قول أبي الفتح البستي:

إذا مَلِكٌ لمْ يَكُنْ ذَا هِبَةٍ * فَدَعْهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَةٌ**

"ذا هبة" الأول: أي: صاحب هبة. والثانية اسم فاعل من الذهاب.

قول القاضي الفاضل:

عضَّنَا الدَّهْرُ بِنَابِهِ * لَيْتَ مَا حَلَّ بِنَا بِهِ**

لاَ يُوَالِي الدَّهْرَ إلاَّ * خَامِلاً لَيْسَ بِنَابِهِ**

بنابه الأول: السن، **بِنَا بِهِ الثاني:** حرف جر وضمير "نا" وحرف جر وضمير الهاء، **بنابه الثالث:** حرف جر، و"نابه" أي ذي شرف وشهرة.

ث. **المفروق:** هو الجناس التام الذي يكون أحد اللفظين المتشابهين فيه مركبا من كلمتين فأكثر مع اختلافهما في الخط، ومن أمثلته، قول الشاعر:

لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تبالغ قبل في تهذيبها**

فمتى عرضت الشعر غير مهذب * عدوه منك وساوسا تهذي بها**

"تهذي بها" الثاني من الهذيان. والأول من التهذيب.

ج. **المرفو:** وهو الجناس التام الذي يكون أحد اللفظين المتشابهين فيه مركبا من كلمة وبعض كلمة أخرى، ومن أمثلته قول الحريري:

والمكر مهما استطعت لا تأته ... لتقتني السؤدد والمكرمة

وقوله أيضا:

فلا تله عن تذكار ذنبك وابكه * بدمع يحاكي المزن حال مصابه**

ومثل لعينيك الحمام ووقعه * وروعة ملقاه ومطعم صابه**

حال مصابه: أي: حال انصبابه، تقول: صاب المطر، إذا انصب. الحمام: الموت.

ومطعم صابه: أي: مطعم شجرته المرة، الصاب: شجر مر له عصارة بيضاء كاللبن بالغة المرارة، إذا أصابت العين أتلفتها.

النوع الثاني: "الجناس المُحَرَّفُ": وهو ما اختلف فيه اللفظان في هيئة الحروف، واتفقا في نوعها وعددها وترتيبها، مثل: "البُرد" بمعنى الكساء، وهو كساء مخطط يلتحف به، و"البَرْد" بمعنى انخفاض درجة الحرارة، و"البَرَد" بمعنى الماء الجامد الذي ينزل من السماء، فحروف هذه الكلمات متفقة في نوعها وعددها وترتيبها، لكنها مختلفة في هيئتها. ومثل: "الشِّرْك" بمعنى جعل شريكا لله عز وجل، و"الشَّرَك" بمعنى الحبل الذي يضعه الصياد ويخفيه ليصيد به ما يترصد من حيوان، ومن أمثلة الجناس المحرف قول المعري:

والحسن يظهر في بيتين رونقه * بيت من الشعر أو بيت من الشعر**

النوع الثالث: "الجناس الناقص": وهو ما نقصت فيه حروف أحد اللفظين عن الآخر، مع اتفاق الباقي في النوع والهيئة والترتيب، مثل: "صالح" و"صوالح"، و"سابح" و"مسابح"، واشتقوا من هذا النوع الثالث أربعة فروع، وهي ما يلي:

أ. **المردوف:** وهو ما كان الحرف الأول هو الناقص في أحدهما، مثل: "مساق" و"ساق" و"جاء و"رجاء"، قال الله تعالى: ﴿ **والتفت الساق بالساق * إلى ربك يومئذ المساق** ﴾ (القيامة: 29-30).

ب. **المكتنف:** وهو ما كان الحرف الناقص في وسط أحدهما، مثل: "حديقة مطوفة، وثمارها مقطوفة"، و"السكران بلذات دنياه هو المجنون، وهو لا يصحو ما لم ينزل به ريب المنون".

ت. المطرف" وهو ما كان الحرف الناقص في آخر أحدهما، مثل: "سار" و"سارق"، و"قاض" و"قاضم"، و"جوار" و"جوارح"، ومنه قول أبي تمام:

يمدون من أيد عواص عواصم * تصول بأسياف قواض قواضب**

ث. **المذيل:** وهو ما كان الناقص في آخر أحدهما أكثر من حرف، فيكون مقابله بمثابة ما له ذيل، مثل: "الجوى" و"الجوانج"، و"الصفا" و"الصفائح"، و"القنا" و"القنابل" ومنه قول الخنساء من قصيدة ترثي فيها أخاها صخرا:

إن البكاء هو الشفا * ء من الجوى بين الجوانح**

الجوى: الحرقة وشدة الوجد. الجوانح: الأضلاع التي تحت الترائب ما يلي الصدر.

النوع الرابع: "الجناس المضارع": وهو ما اختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع حرف واحد منهما مع تقاربهما في النطق، في الأول أو الوسط أو الآخر، مثل: "الخيل" و"الخير". و"دامس" و"طامس". و"البرايا" و"البلايا". و"صالح" و"سالح" ومنه قول الله عز وجل: ﴿ **ذَلْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ**﴾ (غافر: 75)، ومنه قول الله عز وجل: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ (القيامة: 22-23)، ومنه قوله: ﴿**وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون**﴾ (الأنعام: 26)

النوع الخامس: "الجناس اللاحق": وهو ما اختلف فيه اللفظان المتشابهان في نوع حرف واحد منهما غير متقاربين في النطق، في الأول أو الوسط أو الآخر، مثل: "تقهر" و"تنهر" فالقاف والنون غير متقاربين في النطق. ومثل: "تلاق" و"تلاف" فالقاف والفاء غير متقاربين، ومن هذا النوع قول الله عز وجل::

﴿**فأما اليتيم فلا تقهر* وأما السائل فلا تنهر**﴾ (الضحى: 09-10)، وقوله: ﴿**ويل لكل همزة لمزة**﴾ (الهمزة: 01)

النوع السادس: "الجناس المزدوج": ويسمى "المكرر" و"المردد" وهو أن يلي أحد المتجانسين الآخر، ومنه ما يلي: قول الله تعالى: ﴿**وجئتك من سبإ بنبإ يقين**﴾ (النمل: 22)، وقولهم: "من جَدَّ وَجَدَ"، "من قرع بابا ولج ولج".

النوع السابع: "جناس القلب": وهو ما اختلف فيه ترتيب حروف اللفظين، واتفقا في النوع والعدد والهيئة.

مثل: "حتف" و"فتح". ومثل: "عورة" و"روعة"، واشتقوا من هذا النوع ثلاثة فروع:

أ. **الفرع الأول: "قلب الكل"**: وهو أن تكون حروف كل منهما على عكس حروف الآخر، مثل: "فتح" و"حتف"، ومن أمثلة هذا الفرع قوله تعالى: ﴿**وربك فكبر**﴾، وقول الأحنف بن قيس:

حسامك فيه للأحباب فتح * ورمحك فيه للأعداء حتف**

ب. **الفرع الثاني: "قلب البعض"**: وهو أن يكون بعض حروف أحدهما على عكس بعض حروف الآخر منهما، مثل: "عورات" و"روعات" ومنه قول الرسول ﷺ في بعض أدعيته: «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا»، ومنه قول بعضهم: «رحم الله امرأ أمسك ما بين فكيه وأطلق ما بين كفيه».

ت. **الفرع الثالث: "المقلوب المجنح"**: وهو أن يكون أحد اللفظين من "جناس القلب" في أول البيت من الشعر، أو الفقرة من النثر، والآخر في آخر البيت، أو في آخر الفقرة، منه قول ابن نباتة:

ساق يريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس**

أي: وكل لفظ "ساق" إذا قلبته بعكس حروفه فهو "قاس".

ث. **النوع الثامن: "الجناس المصحف"**: ويسمى "جناس الخط"، وهو أن يتشابه اللفظان في الكتابة مع اختلاف في نقط الحروف، مثل: "يسقي" و"يشفي"، ومنه قول الله عز وجل: ﴿**والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين**﴾ (الشعراء: 79 – 80).

ثالثا. السجع:

تعريف السجع:

لغة: يقال سجعت الحمامة أو الناقة سجعا، إذا رددت صوتها على طريقة واحدة.

ويقال: سجع المتكلم في كلامه، إذا تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر مقفى غير موزون.

واصطلاحا: هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد، وهو في النثر كالقافية في الشعر.

وأفضل السجع ما كانت فقراته متساويات، مثل: قول الرسول ﷺ في دعائه: «اللهم أعط منفقا خلفا، وأعط ممسكا تلفا»، وقول أعرابي ذهب السيل بابنه: «اللهم إن كنت قد أبليت، فإنك طالما قد عافيت»، وقولهم: «الحر إذا وعد وفى، وإذا أعان كفى، وإذا قدر عفا».

وقد جاء في كلام الرسول ﷺ النهي عن سجع الكهان، إبعادا عن التشبه بهم، وهو غير السجع الذي إذا كان تلقائيا غير متكلف ولا ملتزم به في كل الكلام، كان من المحسنات اللفظية، وكان من البديع.

والأسجاع مبنية على سكون الأعجاز (أي: الأواخر) مثل: «ما أبعد ما فاتْ، وما أقرب ما هو آتْ».

والأصل في السجع، أن يكون في النثر، لكنه قد يأتي داخل فقرات البيت من الشعر، فيزيده حسنا إذا كان مستوفيا شروطه الفنية غير متكلف، وتأدب العلماء فخص ما هو ملاحظ في القرآن من سجع باسم "فواصل".

شروط السجع:

الأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب، وليس الوقوف في السجع عند الاعتدال فقط، ولا عند توافق الفواصل على حرف واحد هو المراد من السجع، إذ لو كان الأمر كذلك لكان كل أديب من الأدباء سجاعا، ولكن ثمة شروط ذكرها العلماء منهم ابن الأثير فيقول:

الأول: اختيار مفردات الألفاظ المسجوعة والتراكيب، بحيث تكون بعيدة عن الغثاثة والبرودة،

والثاني: أن يكون اللفظ في الكلام المسجوع تابعا للمعنى لا المعنى تابعا للفظ،

والثالث: أن تكون كل واحدة من الفقرتين المسجوعتين دالة على معنى غير المعنى الذي دلت عليه أختها.

السجع المحمود والسجع المذموم:

ومن السجع الحسن المستوفي لهذه الشروط قول ابن الأثير في حديثه عن أحوال الناس: «الكريم من أوجب لسائله حقا، وجعل كواذب آماله صدقا، وكان خرق العطايا منه خلقا، ولم ير بين ذممه ورحمه فرقا، وكل ذلك موجود في كرم مولانا أجراه الله من فضله على وتيرة، وجعل هممه على تمام كل نقص قديرة».

ومن السجع الذي خرج إلى التطويل والتكرار لاتفاق السجعتين في معنى واحد وإن اختلفت الألفاظ قول الصابي:

«الحمد لله الذي لا تدركه العيون بألحاظها، ولا تحده الألسن بألفاظها، ولا تخلقه العصور بمرورها، ولا تهرمه

الدهور بكرورها، ثم الصلاة على النبي الذي لم ير للكفر أثرا إلا طمسه ومحاه، ولا رسما إلا أزاله وعفّاه».

فلا فرق هنا بين مرور العصور وكر الدهور، وكذلك لا فرق بين محو الأثر وعفاء الرسم.

أقسام السجع: قسم علماؤنا السجع إلى عدة أقسام هداهم إليها واقع الأمثلة التي نظروا في شرحها وتحليلها، مع النظر في الاحتمالات العقلية التي تتعرض لها الجمل المسجوعة في اللسان العربي، ثم وضعوا لها أسماء اصطلاحية، والسجع ليس صورة واحدة، وإنما هو يأتي في الكلام على أربعة أقسام:

1. **المُطَرَّفُ:** هو ما اختلفت فيه الفاصلتان أو الفواصل وزنا واتفقت رويا، وذلك بأن يرد في أجزاء الكلام سجعات غير موزونة عروضيا، ويكون رويها روي القافية، نحو قوله تعالى: ﴿**ما لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْواراً**﴾، فالآيتان متفقتان رويا (را) مختلفتان وزنا لأن الآية الأولى أطول من الثانية.

ومنه شعرا على الرأي القائل بأن السجع غير مختص بالنثر، وإنما هو يدخل النثر والشعر معا- قول أبي تمام:

تجلى به رشدي وأثرت به يدي * وفاض به ثمدي وأورى به زندي[1]**

2. **المُرَصَّعُ:** وهو الذي تقابل فيه كلّ لفظة من فقرة النثر أو صدر البيت بلفظة على وزنها ورويّها، نحو قوله: ﴿**إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِي نَعِيمٍ* وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾ (الانفطار: 13 – 14)، ومنه قول الحريري في المقامات: «يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه».

1 تجلى به رشدي: أي ظهر بهذا الممدوح بلوغ المقاصد، و أثرت به يدي: صارت ذات ثراء، والثمد بكسر الثاء وسكون الميم: هو في الأصل الماء القليل، والمراد به هنا المال القليل، وأورى به زندي بفتح الزاي: أي صار ذا وري، وهذا كناية عن الظفر بالمطلوب.

ومثاله في الشّعر قول الشاعر (الكامل):

فحريق جمرة سيفه للمعتدي * ورحيق خمرة سيبه للمعتفي**

وقد وقع الترصيع في ألفاظ البيت جميعا (حريق ورحيق، جمرة وخمرة، سيفه وسيبه، المعتدي والمعتفي).

3. **المتوازي:** وهو ما اتفقت فيه اللفظة الأخيرة من الفقرة مع نظيرتها في الوزن والرّوي، نحو قوله تعالى: ﴿فِيها سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ* وَأَكْوابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ (الغاشية: 13 – 14)، ومن أمثلته شعرا قول أبي الطيّب (البسيط):

فنحن في جذل والروم في وجل * والبرّ في شغل والبحر في خجل**

فالبيت مؤلّف من أربع فقرات، اتفقت كل فقرة منها مع الأخريات في اللفظة الأخيرة وزنا ورويا (جذل، وجل، شغل، خجل)، وقول الحريري في المقامات: «وأودى بي الناطق والصامت، ورثى لي الحاسد والشامت».

4. **المشطور:** ويسمى أيضا التشطير، وهو أن يكون لكل شطر من البيت قافيتان مغايرتان لقافية الشطر الثاني. وهذا القسم خاص بالشعر، كقول أبي تمام:

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتغب في الله مرتقب**[1]

فسجعة الصّدر مبنيّة على روي (الميم)، وسجعة العجز مبنيّة على رويّ (الباء).

أقسام السجع من حيث الطول والقصر:

أ. **السجع القصير:** هو ما كان مؤلّفا من ألفاظ قليلة، وأقلّ القصير ما كان من لفظتين، كقوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنْذِرْ* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ* وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ**﴾ (المدّثر: 1 – 5)

ومنه ما يكون مؤلفا من ثلاثة ألفاظ، أو أربعة، أو خمسة، وينتهي إلى تسع كلمات أو إلى عشر، كقوله تعالى: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذا هَوى * ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى * وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى**﴾ (النجم: 1 – 3)، وأحسن السجع القصير ما كان مؤلفا من لفظتين لفظتين، كقوله تعالى: ﴿**وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً**﴾ (المرسلات: 01–02)

1 المرتغب في الله: الراغب فيما يقربه من رضوانه، والمرتقب: المنتظر الثواب الخائف العقاب.

ب. **السجع الطويل:** وتتفاوت درجاته، فمنه ما يتألّف من إحدى عشرة لفظة، وأكثره خمس عشرة لفظة، وقد رأى بعضهم أنه قد يبلغ عشرين لفظة؛ ولكن آخرين اشترطوا ألّا يتجاوز خمس عشرة لفظة.

ومثاله قوله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْناها مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُسٌ كَفُورٌ* وَلَئِنْ أَذَقْناهُ نَعْماءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ**﴾ (هود: 9 – 10)، فالآية الأولى مؤلفة من إحدى عشرة لفظة، والثانية من ثلاث عشرة لفظة.

وكقوله تعالى أيضا: ﴿**لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ* فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ (التوبة: 128 – 129)، فالآية الأولى مؤلفة من 14 لفظة، والثانية من 15 لفظة.

يدلّ السجع القصير على قوّة منشئة وتمكّنه، لصعوبة إدراكه، وهو أجمل صورة وأحلى وقعا على الأذن. والسجع الطويل أسهل تناولا لأن طوله يخفّف العبء على منشئه.

قيمة السجع وبلاغته:

اختلف النقاد والأدباء حول السجع وقيمته البلاغية، فمنهم من يعيبه ويعده من الأساليب التي تعتمد أكثر على التكلف والتعسف، ودعوا إلى تجنّبه لما فيه من تكلّف وتشبّه بكهّان الجاهلية والمتنبئين الكذبة بعد الاسلام، ويستدلون على كذلك بما آل إليه البيان العربي من تدهور وانحطاط في العصور التي شاع فيها استعمال السجع.

ومنهم من استحسنه ودافع عنه محتجا بأنه لو كان مذموما لما ورد في القرآن الكريم، حيث لا تكاد سورة تخلو منه، بل إن من سوره ما جاءت جميعها مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرهما.

ويحتجون كذلك بأن الصنعة والتكلف والتعسف ليست أمورا مقصورة على السجع، وإنما هي أمور من الجائز أن تلحق بالسجع كما تلحق بغيره من الأساليب، وليس العيب في السجع ذاته وإنما العيب فيمن يحاوله ثم يعجز عن حسن استخدامه.

ولعل عبد القاهر الجرجاني خير من فصل في هذه القضية، فهو يقرر في معرض الكلام عن التجنيس والسجع أنهما يختصان بالقبول والحسن عندما يكون المعنى هو الذي يقود المتكلم نحوهما لا أن يقوداه إلى المعنى.

حتى أنه لو تركهما إلى خلافهما مما لا تجنيس ولا سجع فيه لنسب إليه ما ينسب إلى المتكلف للتجنيس المستكره والسجع النافر.

وفي ذلك يقول: «ولن تجد أيمن طائرا وأحسن أولا وآخرا، وأهدى إلى الإحسان، وأجلب إلى الاستحسان من أن ترسل المعاني على سجيتها، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ، فإنها إذا تركت وما تريد لم تكتس منها إلا ما يليق بها، ولم تلبس من المعارض إلا ما يزينها.

فأما أن تضع في نفسك أنك لا بد من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين فهو الذي أنت منه بعرض الاستكراه، وعلى خطر من الخطأ والوقوع في الذم، فإن ساعدك الجد كما ساعد المحدث– يعني أبا الفتح البستي– في قوله:

ناظراه فيما جنى ناظراه * أو دعاني أمت بما أودعاني**

وكما ساعد أبا تمام في نحو قوله:

وأنجدتمو من بعد اتهام داركم * فيا دمع أنجدني على ساكني نجد**

فذاك، وإلا أطلقت ألسنة العيب، وأفضى بك طلب الإحسان من حيث لم يحسن الطلب، إلى أفحش الإساءة وأكبر الذنب»[1].

1 أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، ص 4 - 10.